جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

منهج أحمد الطويل في تفسيره واحة التفسير
(دراسة استقرائية تحليلية)

إعداد

زكريا علي محمود شبلي

إشراف

د. خالد علوان

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام)، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس–فلسطين.

2025

منهج أحمد الطويل في تفسيره واحة التفسير
(دراسة استقرائية تحليلية)

إعداد

زكريا علي محمود شبلي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2025/09/11، وأجيزت:

د. خالد علوان	التوقيع
المشرف الرئيسي	
د. موسى البسيط	التوقيع
الممتحن الخارجي	
د. عودة عبد الله	التوقيع
الممتحن الداخلي	

إهداء

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[التوبة:105]

إلى خاتم المرسلين، ونور العالمين معلمنا الأول رسولنا الأمين محمد بن عبد الله صل الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلى من علمني أول حرف، وغرس في قلبي حب القرآن، والدتي الحبيبة.

إلى والدي الكريم، سندي ومصدر قوتي، الذي لم يدخر جهداً في دعمي وتشجيعي.

إلى الذين اصطفاهم الله ليكونوا دعاة للخير، حاملي لواء العلم، قاصدي أعالي الجنان، إلى كلّ من منحنا من وقته عطاء، أساتذتنا الأكارم.

شـــكر وتقديـــــر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[النمل: 19]

الحمد لله حمد الشاكرين على إعانته وتوفيقه لي على إتمام هذه الرسالة، أسأل الله أن ينفعني بها وطلبة العلم، وسائر المسلمين، وبعد:

فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى مشرفي على هذه الرسالة: الدكتور خالد علوان –حفظه الله– الذي لم يدع من جهده جهدا، ولم يبخل على من وقته وتوجيهاته ونصائحه في سبيل إنجاز هذه الدراسة.

وأتقدم بالشكر والتقدير للأستاذين الكريمين الدكتور عودة عبد الله، والدكتور موسى البسيط، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الدراسة، وإثرائها من غزير علمهما، فبارك الله بهما وجزاهما خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة لإتمام هذا العمل.

الإقـرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

منهج أحمد الطويل في تفسيره واحة التفسير
(دراسة استقرائية تحليلية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: **زكريا علي محمود شبلي**

التوقيع: زكريا شبلي

التاريخ: 2025/09/11

فهرس المحتويات

إهداء ..... ج
شـكر وتقديـــر ..... د
الإقرار ..... هـ
فهرس المحتويات ..... و
فهرس الصور ..... ح
الملخص ..... ط
المقدمة 1
الفصل الأول: التعريف بالشيخ أحمد الطويل وكتابه (واحة التفسير) 8
المبحث الأول: التعريف بالشيخ احمد الطويل 8
المبحث الثاني: التعريف بكتاب "واحة التفسير" 14
الفصل الثاني: المنهج العام في تفسير الشيخ أحمد الطويل 20
المبحث الأول: البناء الهيكلي في تفسيره 20
المبحث الثاني: تفسير القرآن بالمأثور 25
المبحث الثالث: عنايته باللغة 35
المبحث الرابع: موقفه من الإسرائيليات 36
الفصل الثالث: قضايا علوم القرآن في (واحة التفسير) 40
المبحث الأول: أسباب النزول 40
المبحث الثاني: إعجاز القرآن 44
المبحث الثالث: الناسخ والمنسوخ 47
المبحث الرابع: مشكل القرآن 51
المبحث الخامس: المحكم والمتشابه 54
الفصل الرابع: القضايا اللغوية والبلاغية في (واحة التفسير) 56
المبحث الأول: عنايته بالمفردة 56
المبحث الثاني: عنايته بالجملة 62
الفصل الخامس: القضايا العقدية في (واحة التفسير) 66
المبحث الأول: الأسماء والصفات 68
المبحث الثاني: القضاء والقدر 72
المبحث الثالث: الاستواء والرؤية 75
الفصل السادس: القضايا الفقهية في (واحة التفسير) 78

المبحث الأول: مسائل العبادات 80
المبحث الثاني: مسائل فقه المعاملات 85
الفصل السابع: القيمة العلمية لتفسير احمد الطويل 89
المبحث الأول: مميزات تفسير أحمد الطويل 89
المبحث الثاني: المؤاخذات على هذا التفسير 93
الخاتمة 94
قائمة المصادر والمراجع 97
Abstract ..... B

فهرس الجداول

جدول (1): جدول تقسيم أماكن الإحرام الذي وضعه الشيخ الطويل.....84

منهج أحمد الطويل في تفسيره واحة التفسير
(دراسة استقرائية تحليلية)

إعداد

زكريا علي محمود شبلي

إشراف

د. خالد علوان

الملخص

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على أبرز ملامح حياة الشيخ أحمد الطويل، وبيان ما قدمه في تفسيره الموسوم بـ(واحة التفسير)، وإبراز أهم ما تميز به، وتناول أهم القضايا التفسيرية التي نضجت في تفسير الشيخ أحمد الطويل، والوقوف على أهميته في مجال التفسير المعاصر، والوقوف على منهجه العام، وقد قسمت هذه الدراسة إلى سبعة فصول تناول فيها الباحث في الفصل الأول التعريف بالشيخ أحمد الطويل، وكتابه واحة التفسير، ومن ثم أورد الباحث في الفصل الثاني المنهج العلمي لهذا التفسير، وأما الفصل الثالث فقد شرع به الباحث في بيان قضايا علوم القرآن فيه، وأتبع بالفصل الرابع القضايا اللغوية والبلاغية، كما وتحدث في الفصل الخامس عن القضايا العقدية عند الشيخ أحمد الطويل، ومن ثم جاء الفصل السادس ليبرز المسائل الفقهية، وختم الفصول بفصل سابع تطرق فيه للحديث عن القيمة العلمية لهذا التفسير.

واتخذت الدراسة من المنهج الاستقرائي التحليلي سبيلا للوصول لتلك الأهداف، وخلصت الدراسة للعديد من النتائج، من أهمهما: أن الشيخ الطويل التزم منهجا عاما فيما يخص تفسيره يرتكز على التقديم بين يدي السورة بما ورد فيها من فضائل، ومناسبتها لما قبلها، وتلخيص ما اشتملت عليه من موضوعات في بدايتها، وبيان ما في الألفاظ من وجوه القراءات، واعتماد طريقة أهل التفسير بالمأثور، وتذييل الآيات بالكلام على ما يتصل بمعناها من واقع الناس من غير تكلف ولا تعسف، واستنباط فوائد تربوية وسلوكية واجتماعية. واعتنى كذلك ببعض مسائل علوم القرآن كأسباب النزول، وإعجاز القرآن، والناسخ والمنسوخ، ومشكل القرآن،

والمحكم، والمتشابه. وأظهر عناية بالمفردة القرآنية بالقدر الذي يفيد في بيان معنى الآية ويظهر ما فيها من أحكام، وعنايته كذلك بالجمل وما تشتمل عليه من تشبيهات ضرب للأمثلة ونحوها، وعمد إلى تفسير آيات الغيبيات بما يتوافق مع الخط العام لرؤية أهل السنة من خلال الإثبات والتفويض، وبخاصة فيما يخص مسائل الإلهيات، كمسائل الأسماء والصفات، والقضاء والقدر، والاستواء والرؤية، وغيرها، وقد زاد اهتمامه في تناول المسائل الفقهية، فلم يكد يتناول آية فيها حكما شرعيا إلا تناوله بشيء من الإسهاب والإطناب.

الكلمات المفتاحية: مناهج المفسرين، واحة التفسير، احمد الطويل، التفسير.

المقدمة

الحمد الله مسبب الأسباب، الذي يستفتح بذكره كل خطاب، مدبر العوالم ببالغ حكمته، وشامل الأنام بعميم رحمته، مشرع الأحكام لأهل التكليف من بريته، أحمده سبحانه على عظيم منته، وأشكره والشكر مفض إلى مزيد نعمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارا بوحدانيته، وإخلاصا لربوبيته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله المبين لشريعته، والداعي إلى جنته، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الغر العاملين بطاعته.

أما بعد:

مما لا شك فيه ان أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله العزيز وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم إما آلات لفهمهما، وهي الضالة المطلوبة ،أو أجنبية عنهما وهي الضارة المغلوبة، وعلى هذا سار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في مداستها وتفقهها بين سائل ومجيب.

وتعد الدراسات التفسيرية من أبرز المجالات التي حظيت باهتمام واسع في التراث الإسلامي، حيث تسعى إلى فهم القرآن الكريم وبيان معانيه واستنباط الأحكام والدروس منه، ومن بين الجهود البارزة التي ظهرت في العصر الحديث، تفسير "واحة التفسير" للشيخ أحمد الطويل، الذي يمثل مشروعا علميا متميزا يجمع بين العمق الأكاديمي والبساطة التي تخاطب شرائح مختلفة من القراء، وقد نال هذا التفسير قبولا واسعا بين طلاب العلم والمهتمين بالعلوم القرآنية؛ لما يتميز به من منهجية فريدة تسعى إلى تقديم تفسير ميسر وشامل في آن واحد.

يتميز منهج الشيخ أحمد الطويل في تفسيره "واحة التفسير" بعدة جوانب، أبرزها: سعيه إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة في الطرح؛ إذ يعتمد على مصادر التفسير المعتبرة عند علماء السلف، ويستفيد من

المعطيات الحديثة في علوم اللغة والتاريخ والاجتماع، كما يولي أهمية خاصة للبعد التحليلي، مما يجعله تفسيرا غنيا بالرؤى التربوية والفكرية التي تخدم قضايا العصر.

ومن خلال هذا البحث، يتم تناول منهج الشيخ أحمد الطويل في تفسيره من زاويتين رئيسيتين: الأولى استقرائية تهدف إلى تتبع أسلوبه في تفسير الآيات وأدواته العلمية، والثانية تحليلية تهدف إلى الكشف عن الإضافات التي قدمها هذا التفسير إلى المكتبة التفسيرية ومدى تلبيته لاحتياجات المسلمين المعاصرين.

وسيتم تقسيم الدراسة إلى عدة محاور، تشمل التعريف بالمؤلف وتفسيره، ثم دراسة منهجه في تفسير القرآن، من حيث التعامل مع النص القرآني، واللغة، والسياق، والمأثور عن الصحابة والتابعين، بالإضافة إلى موقفه من القضايا الخلافية وتوظيفه للعلوم الحديثة، كما ستتناول الدراسة أثر هذا التفسير في إثراء فهم النصوص القرآنية وتجديد المنهج التفسيري بما يتناسب مع متطلبات العصر.

والجدير بالذكر: أن استقراء وتحليل منهج الشيخ أحمد الطويل يتيح لنا فرصة التعرف على نقاط القوة والجِدة في "واحة التفسير"، ويسهم في إثراء الدراسات القرآنية المعاصرة من خلال تسليط الضوء على تجربة علمية بارزة في هذا المجال.

من هذا المنطلق وقع اختياري على هذا الموضوع ليكون محور دراستي في مرحلة التخصص "الماجستير"، وذلك تحت عنوان: "منهج أحمد الطويل في تفسيره واحة التفسير (دراسة استقرائية تحليلية).

مشكلة الدراسة، وتساؤلاتها:

تتمثل مشكلة الدراسة في السعي إلى الكشف عن المنهج الذي اعتمده الشيخ أحمد الطويل في تفسيره "واحة التفسير"، ومدى تميزه مقارنة بالمناهج التفسيرية الأخرى، من خلال دراسة استقرائية تحليلية، وتنبع هذه المشكلة من الحاجة إلى فهم أعمق لمناهج المفسرين المعاصرين الذين يسعون لتجديد علم التفسير بما يتلاءم

مع متطلبات العصر، وبالتالي، فإن دراسة "واحة التفسير" تسعى إلى الوقوف على هذا التوازن بين الأصالة والتجديد، وتحليل مدى نجاح أحمد الطويل في تحقيق هذا الهدف.

من هنا، تتبلور مشكلة الدراسة في السؤالين المحوريين الآتيين:

ما المنهج الذي اعتمده الشيخ أحمد الطويل في تفسيره "واحة التفسير"، وما مدى فعاليته في تلبية حاجات الواقع المعاصر مع الحفاظ على الأسس العلمية للتفسير؟

كما تسعى الدراسة إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات التي تبرز معالم منهج الشيخ أحمد الطويل، ومدى تميزه وإسهامه في حقل الدراسات التفسيرية. وأهم هذه التساؤلات:

1. ما المصادر التي اعتمد عليها الشيخ أحمد الطويل في تفسيره؟ وكيف أثر ذلك على منهجيته؟
2. كيف تناول الشيخ أحمد الطويل النص القرآني من حيث اللغة، والسياق، والتفسير بالمأثور؟
3. ما الأدوات التفسيرية التي استخدمها أحمد الطويل، وهل اعتمد على أساليب تحليلية مبتكرة؟
4. كيف عالج أحمد الطويل القضايا الفكرية والاجتماعية المعاصرة في تفسيره؟
5. ما مدى التزام تفسير "واحة التفسير" بالقواعد العلمية للتفسير؟
6. ما أبرز الإضافات التي قدمها الشيخ أحمد الطويل من خلال تفسيره؟

وتساعد الإجابة عن هذه التساؤلات في بناء صورة شاملة عن منهج الشيخ أحمد الطويل في تفسيره، وتقييم مدى نجاحه في تقديم تفسير يلبي احتياجات الواقع المعاصر مع الحفاظ على الأسس العلمية للتفسير.

أهداف هذه الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمعرفية التي تسلط الضوء على منهج الشيخ أحمد الطويل في تفسيره "واحة التفسير"، وتبين مدى إسهامه في تطوير علم التفسير، وتتمثل أهم هذه الأهداف فيما يأتي:

1. التعرف على المنهج الذي اتبعه الشيخ أحمد الطويل في تفسيره: وذلك من خلال الكشف عن الأسس العلمية والمنهجية التي اعتمدها في تفسيره "واحة التفسير".
2. تقييم تفسير "واحة التفسير" من حيث المضمون والأسلوب: من خلال دراسة محتوى التفسير، وتحليل أسلوب الشيخ أحمد الطويل في شرح الآيات القرآنية، ومدى وضوحه وسهولة تناوله للموضوعات.
3. تحليل مصادر الشيخ أحمد الطويل في التفسير: من خلال تحديد المراجع والمصادر التي اعتمد عليها أحمد الطويل، سواء كانت تفسيرية أو لغوية أو حديثية، وتقييم أثر هذه المصادر على منهجه.
4. دراسة تفاعل التفسير مع القضايا الفكرية والاجتماعية المعاصرة: من خلال استقراء مدى استجابة تفسير "واحة التفسير" لاحتياجات العصر الحديث، وتحليل المعالجات التي قدمها الشيخ أحمد الطويل للقضايا الراهنة.
5. إبراز الإضافات الجديدة لتفسير "واحة التفسير": وذلك عن طريق تحديد الإسهامات العلمية والفكرية التي قدمها تفسير أحمد الطويل مقارنة بالتفاسير الأخرى، ومدى تأثيره في تجديد المناهج التفسيرية.

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية دراسة موضوع "منهج أحمد الطويل في تفسيره واحة التفسير (دراسة استقرائية تحليلية)" من عدة جوانب علمية ومعرفية وتربوية، تسلط الضوء على القيمة العلمية لهذا التفسير ودوره في إثراء حقل الدراسات التفسيرية، ويمكن تلخيص هذه الأهمية في النقاط الآتية:

1. الإسهام في فهم المناهج التفسيرية الحديثة: حيث يمثل تفسير "واحة التفسير" للشيخ أحمد الطويل أنموذجا من نماذج التفاسير المعاصرة التي تسعى إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ودراسة منهجه تتيح فرصة لتقييم الأساليب التفسيرية الحديثة ومدى استجابتها لحاجات المسلمين في العصر الراهن.
2. إبراز دور التفسير في معالجة قضايا العصر: يتميز تفسير الشيخ أحمد الطويل بقدرته على تقديم رؤى تحليلية عميقة لقضايا اجتماعية وأخلاقية وفكرية معاصرة، من خلال الاستناد إلى النص القرآني.

3. الجمع بين الأصالة والمعاصرة في التفسير: لقد سعى الشيخ أحمد الطويل في تفسيره إلى الموازنة بين منهج السلف الصالح في التفسير وبين متطلبات العصر الحديث.
4. إثراء الدراسات التفسيرية بمنظور تحليلي جديد: يقدم هذا البحث استقراء وتحليلا لمصادر الشيخ أحمد الطويل وأدواته العلمية.
5. دراسة الأثر العلمي والتربوي لتفسير واحة التفسير: إن تفسير "واحة التفسير" لم يقتصر على تقديم معاني الآيات فقط، بل حرص على توجيه القارئ وتربيته على قيم الإسلام ومبادئه. وتبرز أهمية الموضوع هنا في التعرف على الدور التربوي لهذا التفسير ومدى تأثيره في تكوين وعي ديني متوازن لدى المتلقين.
6. تسليط الضوء على شخصية تفسيرية بارزة: يعد الشيخ أحمد الطويل أحد الأعلام البارزين في مجال التفسير في العصر الحديث.

بناء على ما سبق، فإن هذا الموضوع يكتسب أهمية خاصة ليس فقط في مجال الدراسات القرآنية، وإنما أيضا في سياق فهم العلاقة بين النصوص الدينية ومتطلبات الواقع، مما يجعله جديرا بالبحث والتحليل.

أسباب اختيار الموضوع

هناك العديد من الأسباب التي دفعت إلى اختيار هذا الموضوع للدراسة والبحث، ومن أبرزها ما يأتي:

1. أهمية تفسير "واحة التفسير" في الدراسات القرآنية المعاصرة: إن تفسير "واحة التفسير" للشيخ أحمد الطويل يعد من التفاسير التي لاقت قبولا واسعا بين طلاب العلم.
2. الرغبة في تسليط الضوء على الجهود التفسيرية المعاصرة: مع تزايد التفاسير في العصر الحديث، تبرز الحاجة إلى دراسة المناهج التي يتبناها المفسرون المعاصرون.
3. محاولة لفهم أدوات وأساليب التجديد في التفسير: خاصة في ظل التحديات الفكرية والثقافية التي تواجه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر.
4. الرغبة في الكشف عن الأسلوب الدعوي الذي اتخذه الشيخ في تفسيره وخطاباته كوني داعية وخطيب.

5. الرغبة في تحليل البعد التربوي والاجتماعي في التفسير: يتميز تفسير الشيخ أحمد الطويل بتركيزه على الجوانب التربوية والاجتماعية المستمدة من النصوص القرآنية.
6. إبراز شخصية علمية بارزة في مجال التفسير: يعد الشيخ أحمد الطويل من الشخصيات المؤثرة في مجال التفسير، ودراسة منهجه تسهم في التعريف بشخصيته العلمية وأفكاره.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على منهجين رئيسيين يتكاملان لتحقيق أهداف البحث وتحليل موضوعه بشكل شامل ودقيق، وهما:

1. المنهج الاستقرائي: يتمثل في استقراء تفسير "واحة التفسير" للشيخ أحمد الطويل من خلال جمع وتحليل نصوص التفسير ذات الصلة بالموضوع، وتتبع أسلوب المفسر في تناول الآيات القرآنية، كما يشمل هذا المنهج تتبع المصادر التي استند إليها الشيخ أحمد الطويل، مثل كتب التفسير بالمأثور والرأي، وكتب اللغة والحديث، وكيفية استثمارها في تفسيره.
2. المنهج التحليلي: يركز على ابراز منهج الشيخ أحمد الطويل في تفسيره، من حيث الأسلوب، والمضمون، وتوظيف الأدوات التفسيرية، ويهدف هذا المنهج إلى تفكيك النصوص التفسيرية التي كتبها الشيخ أحمد الطويل لدراسة طريقة تناوله للآيات القرآنية وتحليل مضمونها، وكذلك مدى تأثره بالمناهج التفسيرية الأخرى، ويتيح هذا المنهج تقييم مدى نجاح هذا التفسير في تحقيق التوازن بين الأصالة والتجديد، ومعالجة القضايا الفكرية والاجتماعية المعاصرة.

الدراسات السابقة

إن منهج الشيخ أحمد الطويل في التفسير وحياته من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة وذلك نظرًا لقلة الدراسات حول هذا الموضوع، ومع انتشار كتب الشيخ احمد الطويل وأهميتها لم تكن حياة الشيخ أحمد

الطويل والترجمة له وبيان منهجه العلمي في تفسيره واحة التفسير محل اهتمام مع كون تفسيره من أقوى التفاسير المعاصرة، ومن الدراسات السابقة ما يلي:

1. دراسة بعنوان (منهج أحمد الطويل الأزهري في تفسيره – واحة التفسير – دراسة تحليلية) للباحث: حسام محمد حسن الدوري، الجامعة العراقية كلية الأدب، قسم علوم القرآن، 2024م، قدمت الرسالة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير، تم تسجيل مناقشة هذه الرسالة في العام 2024 م وفق العام 1446 هجرية ،وهدفت إلى التعريف بالشيخ وبيان أبرز ما تميز به هذا التفسير من خلال عرض الموضوعات المتعلقة في علوم القرآن، جاءت في خمسة فصول، تناول بها القضايا التفسيرية التي نضجت فيه، بالإضافة إلى الوقوف على أهميته في مجال التفسير المعاصر ومنهجه العام، مع العلم بأنه لم يقدر للباحث الوقوف على هذه الرسالة إلى بعد الانتهاء من كتابة رسالته. وهي دراسة مطولة مليئة بالتفريعات والاطنابات بخلاف هذه الدراسة التي نحن بصددها فقد تميزت عنها بالاختصار غير المخلّ وقد خلصت الى نتائج لم تتطرق اليها الدراسة السابقة.
2. بحث محكم بعنوان: (منهج الشيخ احمد الطويل في واحة التفسير واسلوبه)، سعيده بانو، مجلة الاعجاز، أكتوبر –ديسمبر 2023.، المجلد4. وهو بحث محكم من ثماني صفحات يتحدث عن الكتاب والتعريف به وأهم الموضوعات التي تناولها كتاب واحة التفسير.
3. بحث بعنوان (أصول الفقه في واحة التفسير)، سعيده بانو، مجلة الاعجاز، يوليو –سبتمبر 2023، المجلد3. وهو بحث محكم من عشر صفحات يتحدث عن الكتاب وبيان قيمته العلمية وينتقل إلى بيان المسائل الفقهية في كتاب واحة التفسير والقواعد الأصولية التي اعتمد عليها.

الفصل الأول

التعريف بالشيخ أحمد الطويل وكتابه (واحة التفسير)

المبحث الأول: التعريف بالشيخ احمد الطويل

اسمه ونشأته

اسمه: هو الشيخ أحمد بن أحمد محمد عبد الله الطويل من محافظة الشرقية في مصر، وعائلته موجودة حتى الآن في مدينة "القرين" بمحافظة الشرقية. وشهرته أحمد الطويل، ويكنى أبو ضياء الدين[1].

ولد الشيخ أحمد الطويل في الأول من شهر "حزيران" عام (1942م) ميلادي، الموافق السابع عشر من شهر "جمادى الأول" عام (1361) للهجرة، في مدينة "القرين"، بمحافظة الشرقية، في جمهورية مصر العربية.

ونشأ يتيما؛ فقد مات والده قبل أن يولد بشهرين، وتولت والدته تربيته، وذكر الشيخ أن والده جاء إلى أمه في المنام وقال لها: في بطنك ولد، سمه (أحمد)، فسمي باسم والده.

أرسلته والدته إلى الكتاب وهو طفل صغير في الخامسة من عمره، فتعلم القراءة والكتابة، ثم حفظ القرآن الكريم كاملا في الكتاب على يد شيخه الشيخ أحمد سلامة[2].

ثم قرأ الشيخ ختمة كاملة مع الاعتناء بقواعد التجويد وتطبيقها، وكان ذلك في سن الحادية عشرة من عمره، ونال بذلك إجازة في القرآن الكريم بالسند المتصل عن شيخه الشيخ أحمد سلامة، إلى أئمة القراءة، إلى حفص عن عاصم، بالإسناد إلى علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ.

ثم التحق الشيخ بمعهد القراءات التابع للأزهر الشريف بمنطقة (شبرا) بالقاهرة، وكان ذلك المعهد هو المعهد الوحيد على مستوى جمهورية مصر العربية في ذلك الوقت، وكان حفظ القرآن كاملا شرطا للقبول في المعهد،

[1] ينظر: الاحتساب على مرتكبي الرشوة، أحمد الطويل (ص: 15).

[2] مقال بعنوان الشيخ احمد الطويل، يتحدث فيه الشيخ احمد الطويل عن سيرته الذاتية، موقع مداد. رابط المقال: https://midad.com/scholar

ولما كان الشيخ قد حفظ القرآن قبل ذلك فقد تم قبوله في المعهد، واستمرت دراسة الشيخ في المعهد ثماني سنوات هي مدة الدراسة فيه[1].

التحق الشيخ بعد ذلك بجامعة الأزهر الشريف، وحصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) للدراسات الإسلامية والعربية عام (1388هـ-1986م).

شيوخه وتلاميذه

قرأ الشيخ على عدد كبير من مشايخ الإقراء، وحصل منهم على أسانيد وإجازات في القرآن الكريم والقراءات ومن هؤلاء:

1. الشيخ محمد الصادق قمحاوي[2].
2. الشيخ أحمد بن مصطفي بن مراد المرحومي المنوفي المصري[3].
3. الشيخ محمد بن إسماعيل الهمداني المصري[4].
4. الشيخ عامر بن السيد بن عثمان أبو إبراهيم الشرقاوي المصري[5].
5. الشيخ إبراهيم بن عطوة بن عوض بن إبراهيم، أبو محمد الشرقاوي القاهري[6].

---

[1] كانت الدراسة في المعهد – ولا زالت – مقسمة على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة التجويد: وفي هذه المرحلة يدرس الطالب رواية حفص عن عاصم، مع حفظ متن تحفة الأطفال ومتن الجزرية، مع دراسة بعض المواد الشرعية، مثل: الفقه والتفسير والحديث والسيرة والتوحيد، وبعض مواد اللغة العربية مثل النحو. وفي نهاية هذه المرحلة يحصل الطالب على "شهادة التجويد" من الأزهر الشريف (وهي تعادل الإعدادية الأزهرية). ومدة الدراسة في هذه المرحلة سنتان.

المرحلة الثانية: مرحلة عالية القراءات: وفي هذه المرحلة يدرس الطالب القراءات العشر الصغرى مع حفظ متن "الشاطبية" ومتن "الدرة"، بالإضافة للمواد الشرعية واللغة العربية وعلوم القرآن مثل الفقه والتفسير والحديث ورسم القرءان، والفواصل، والعروض والنحو. وفي نهاية هذه المرحلة يحصل الطالب على شهادة "عالية القراءات" (وتعادل الثانوية الأزهرية). ومدة الدراسة في هذه المرحلة ثلاث سنوات.

المرحلة الثالثة: مرحلة التخصص: وفي هذه المرحلة يدرس الطالب القراءات العشر الكبرى، مع حفظ متن "طيبة النشر في القراءات العشر" لابن الجزري، بالإضافة للمواد الشرعية واللغة العربية وعلوم القرءان مثل: الفقه والتفسير والحديث ورسم القرءان والفواصل والنحو، وفي نهاية هذه المرحلة يحصل الطالب على "شهادة التخصص في القراءات" (وتعادل خريج المعهد فوق المتوسط). ومدة الدراسة في هذه المرحلة ثلاث سنوات.

ينظر: أبو الجود، خالد حسن، "معاهد القراءات الأزهرية بمصر نشأتها وتاريخها وهيكلتها وتقييمها" (ص 29)، وهو بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، المقام في جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية عام (2015 م).

[2] ينظر: جار الله، عبد الله بن محمد بن سليمان، قراء العصر سيرة عطرة وتاريخ مجيد، مؤسسة الهدى الخيرية (1435 هـ)، (ص 13).

[3] ينظر: السيد بن أحمد بن عبد الحميد، الحلقات المضيئة من سلسلة أسانيد القراءات، طبع على نفقة الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة بيشة بالمملكة العربية السعودية، (ط 1/1423هـ 2002م)، (161/1).

[4] المصدر السابق (82/1).

[5] المصدر السابق (86/1).

[6] المصدر السابق (91/1).

6. الشيخ محمود بن حافظ بن برانق، أبو حازم القليوبي المصري [1].

7. الشيخ سليمان إمام الصغير [2].

8. الشيخ أحمد بن علي بن علي بن مرعي أبو حسن المنوفي ثم القاهري[3].

9. الشيخ قاسم بن أحمد بن عفيفي الدجوي المصري[4].

10. الشيخ إبراهيم بن علي بن علي بن محمد بن العشري بن العيسوي بن شحاته التميمي السمنودي المصري[5].

وقد كان تلقي الشيخ أحمد الطويل عن مشايخه بالطريقة المعروفة المعتادة إلى يومنا هذا، وهي: أنه يقرأ على الشيخ ختمة للقرآن الكريم بالقراءات، ثم يجيزه فيها بالإسناد المتصل إلى النبي ﷺ.

وقد كان لتلقي الشيخ أحمد الطويل القراءات على أيدي مشايخه أثر كبير في تفسيره، ويظهر هذا في اهتمام الشيخ أحمد بالكلام عن القراءات في تفسيره وذكر توجيهها.

وأما تلاميذه فقد درس الشيخ في حلقات تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية على مدى عشرات السنين، وعنده المئات وربما الآلاف من التلاميذ الذين حفظوا القرآن الكريم على يده، أو درسوا التجويد وعلوم القرآن معه، كما كان الشيخ إماما لمسجد في الرياض، وكان يعطي فيه الدروس ويلقي فيه الخطب، ومن هؤلاء الذين تتلمذوا عليه:

1. الشيخ الدكتور عبد العظيم بدوي.

2. الشيخ الدكتور عبد الله الشثري.

3. الشيخ سعيد الغامدي.

---

[1] السيد بن أحمد بن عبد الحميد، الحلقات المضيئة من سلسلة أسانيد القراءات، (97/1).

[2] ينظر: البرماوي، إلياس بن أحمد حسين بن سليمان، إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، (125/1).

[3] ينظر: عبد الرحيم، السيد بن أحمد، الحلقات المضيئة من سلسلة أسانيد القراءات، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن، (ط1423/1هـ)، (87/1).

[4] المصدر السابق (97/1).

[5] المصدر السابق (92/1).

4. الشيخ أحمد عثمان.

5. الدكتور عوض الشهري.

نشاطه الدعوي والعلمي

عمل الشيخ بعد تخرجه إماما وخطيبا ومدرسا في وزارة الأوقاف المصرية مدة عشر سنوات، في مسجد إبراهيم المنصور، بمحافظة الشرقية، وكان شيخا لمقرأة الأئمة في مسجد "الشربيني" في مدينة الزقازيق في الفترة بين عامي (1964م-1972م) [1]..

سافر الشيخ بعد ذلك إلى المملكة العربية السعودية، وتحديدا في مدينة الرياض عام (1392هـ/1972م) ليعمل مدرسا في مدرسة تابعة لوزارة المعارف السعودية لتحفيظ القرآن الكريم، كما قام الشيخ بالتعاون مع كلية المعلمين في تدريس مادة القرآن الكريم مدة ثلاث سنوات[2].

عمل الشيخ إماما وخطيبا لجامع مستشفى القوات المسلحة بالرياض مدة اثنين وثلاثين عاما بين عامي (1975م/2005م) [3].

كما درس الشيخ القرآن الكريم وتجويده وقراءاته وعلومه في جهات عدة، مثل: معهد القرآن الكريم وعلومه التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالرياض، وكذا معهد القرآن الكريم بالحرس الوطني، وفي عدد من المساجد، وفي المركز الخيري لتعليم القرآن الكريم وعلومه، وفي دورات تدريب الأئمة والمؤذنين بالجمعية الخيرية[4].

كما عمل الشيخ مدة طويلة في حلقات تحفيظ القرآن الكريم في مساجد الرياض، مثل: مسجد أبي هريرة.

---

[1] احمد الطويل، واحة التفسير (1/ 16).

[2] مقال بعنوان الشيخ احمد الطويل، يتحدث فيه الشيخ عن سيرته الذاتية، موقع مداد. وهذا رابط المقال: https://midad.com/scholar

[3] ينظر: أحمد الطويل، اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق (ص: 3).

[4] مقال بعنوان الشيخ احمد الطويل، يتحدث فيه الشيخ عن سيرته الذاتية، موقع مداد. وهذا رابط المقال: https://midad.com/scholar

وعمل الشيخ أيضا مراقبا للقرآن والقراءات بالإذاعة السعودية [1].

كما عمل الشيخ معدا ومقدما لبعض البرامج في التليفزيون والإذاعة السعودية، مثل: برنامج (تعليم التلاوة)، وبرنامج (آيات من القرآن: تجويد وتفسير)، وبرنامج (مع القرآن الكريم) في قناة وطنية، وبرنامج (دوحة القرآن) في قناة المجد، ومقالات في مجلة الجندي المسلم[2].

حصل الشيخ أثناء تواجده في المملكة العربية السعودية على درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (1402 هـ / 1982 م)، ثم سجل للدكتوراة في جامعة لاهور بدولة باكستان، وكانت رسالته بعنوان: "الخطبة المنبرية وأثرها في الدعوة إلى الله"، لكن لم يقدر الله جل وعلا للشيخ الحصول عليها.

مؤلفاته

ألف الشيخ عددا من المؤلفات النافعة، منها[3].

1. (واحة التفسير)، وهو موضوع هذه الدراسة.
2. (الاحتساب على مرتكبي جريمة الرشوة) رسالة الماجستير، طبعت عام (1406هـ).
3. (فن الترتيل وعلومه) مجلدان، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالتعاون مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض عام (1420هـ/ 1999م).
4. (التجويد الواضح) نشر: دار ابن خزيمة بالرياض.
5. (تيسير علم التجويد) نشر: دار ابن خزيمة بالرياض.
6. (الهدية بين الحلال والحرام) طبع: دار طيبة بالرياض، ثم طبع طبعة ثانية في دار المسلم بالرياض.
7. (سلسلة الراشي والمرتشي في النار) طبع: دار طيبة بالرياض.

---

[1] ينظر: أحمد الطويل، اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق (ص: 3).

[2] احمد الطويل، واحة التفسير (1: 3).

[3] احمد الطويل، فن الترتيل وعلومه (ص: 3).

8. (طلب الرزق بين الحلال والحرام) نشر: دار المسلم بالرياض.

9. (كيف نقرأ القرآن) نشر: دار المسلم بالرياض.

10. (الرشوة وآثارها) نشر: دار المسلم بالرياض.

11. (اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق) نشر: دار كنوز إشبيليا.

12. (أحكام التجويد في كلمات العزيز الحميد) نشر: مؤسسة الريان.

ويظهر من مؤلفات الشيخ أحمد الطويل اعتناؤه الشديد بتعليم التجويد وتدريسه، وتخصصه فيه، فقد ألف فيه أربعة كتب، وهي: (فن الترتيل وعلومه) مجلدان، وكتاب (التجويد الواضح)، وكتاب (تيسير علم التجويد)، وكتاب (أحكام التجويد في كلمات العزيز الحميد)، وكلها مطبوعة.

وهذا يظهر جانبا من الاهتمام والتخصص العلمي عند الشيخ أحمد الطويل ~، وهو انشغاله بالقرآن وتجويده، وتعليم ذلك للناس.

كما يظهر أيضا عناية الشيخ بالكلام عن قضايا القرآن وعلاجه للمشاكل الواقعة في المجتمعات، خاصة القضايا التي انتشرت في العصر الحديث، فقد اهتم بها الشيخ وألف فيها، كقضية الرشوة فله فيها كتاب: (الاحتساب على مرتكبي جريمة الرشوة)، وهي رسالته للماجستير، وكتاب (سلسلة الراشي والمرتشي في النار)، وكتاب (الهدية بين الحلال والحرام). وقضية طلب الرزق الحلال والبعد عن الحرام، فقد ألف الشيخ فيها كتابين هما: كتاب (طلب الرزق بين الحلال والحرام)، وكتاب (اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق). وبالجملة فالذي يظهر أن الشيخ كان له اعتناء بالجانب الوعظي التربوي في كتاباته ولم يكن منشغلا بالتأليف في الجانب العلمي كعلوم العقيدة والفقه والحديث والأصول ونحو ذلك[1].

وقد توفي الشيخ يوم الخميس (1440/5/25هـ)، الموافق (2019/1/31م) في المدينة المنورة، وصلي عليه بمسجد رسول الله ﷺ، ودفن بالبقيع[2].

[1] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (1/ 9).

[2] اعتمد الباحث في كتابة ترجمة الشيخ رحمه الله بالإضافة الى ما سبق على المعلومات الموجودة في موقع مداد. وهذا رابط المقال: https://midad.com/scholar

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "واحة التفسير"

اسم الكتاب وسبب تأليفه

أولا: اسم الكتاب:

واحة التفسير؛ طبع الكتاب في حياة المؤلف بهذا الاسم، وهذا من أعلى درجات التوثيق، وقد سماه عدد من أهل العلم الذين قدموا للكتاب وقرظوه بهذا الاسم.

ثانيا: سبب التأليف:

وأما عن سبب تأليفه فقد بين الشيخ في مقدمة كتابه سبب تأليفه للتفسير، فقد ذكر أنه ظل مدة تزيد على أربعين عاما يعمل إماما وخطيبا في جمهورية مصر العربية، ثم في المملكة العربية السعودية، وأنه في مقتبل حياته الدعوية جلس مع أحد الوعاظ في مصر وأخبره أنه ذات مرة كرر خطبة جمعة سبق أن ألقاها قبل نحو ثمانية أشهر، فانتبه أحد المصلين لهذا وأخبره بالأمر، فترك هذا الواعظ عمله في الأوقاف، والتحق بوظيفة الوعظ في الأزهر الشريف، حيث يقوم الواعظ بالمرور على ثلاثين مسجدا لمدة شهر كامل يعطي فيهم درسا واحدا يكرره في كل مسجد.

ومن هنا قرر الشيخ أن يبدأ في خطبه سلسلة من الموضوعات الطويلة، كقصص الأنبياء، والكبائر، والأخلاق، والغزوات، ونحو ذلك.

ثم بعد ذلك رأى الشيخ أن يبدأ سلسلة خطب يفسر فيها كتاب الله جل وعلا؛ ليربط الناس بالقرآن الكريم، فالقرآن جامع لكل العلوم.

واستمر الشيخ في تفسير القرآن الكريم في خطب الجمعة من أول سورة الفاتحة حتى وصل سورة السجدة حيث ترك المسجد لبلوغه سن التقاعد الوظيفي، وقد استغرق هذا الأمر نحو اثني عشر عاما.

لم يكن الشيخ يعتني بتسجيل هذه الخطب ولا كتابة التفسير بصورة منتظمة، لكن كان بعض المصليين قد سجل هذه الخطب لنفسه على جهاز التسجيل (الكاسيت)، وطلب منه كتابة هذا التفسير فطلب الشيخ التسجيلات وحصل على نسخة منها، وبالفعل قام بعض المتطوعين بتفريغ هذه الأشرطة في الحاسب الآلي[1].

وقد ذكر الشيخ أنه وجد صعوبة في تحقيق هذا التفريغ وإعداده للطبع؛ لسوء التسجيل وبعد الصوت، وانقطاع الكلام في التفريغ، واختلاف أسلوب الكلام عن الكتابة، وحاجته إلى التوثيق، ومن هنا قرر الشيخ أن يبدأ بكتابة تفسير القرآن من جديد، وقد حصل ذلك، فجزاه الله على عمله ذلك خير الجزاء، ورحمه رحمة واسعة.

كما ذكر الشيخ من ضمن الأسباب التي دعته إلى كتابة هذا التفسير: حاجة العرب المسلمين المقيمين في دول أجنبية مثل (كندا وأمريكا وبريطانيا) إلى تفسير سهل وميسر يستطيع القارئ أن يفهم الآيات منه فهما مباشرا[2].

وكذلك حاجة خطيب الجمعة أو الداعية إلى تفسير يعمد إلى آية أو آيات من القرآن، والأحاديث الصحيحة، والقصة المرققة للقلب، وسبب النزول، مع مراعاة واقع المسلمين، ونحو ذلك.

ولم يذكر الشيخ متى بدأ في كتابة تفسيره، لكنه ذكر أنه انتهى منه في مدينة الرياض، في المملكة العربية السعودية، في يوم الجمعة، غرة شهر رجب، عام 1424هـ الموافق للتاسع والعشرين من شهر أغسطس عام 2003م[3].

ثم قام الشيخ بمراجعة تفسيره أكثر من مرة، وقام بإضافة بعض الأمور المهمة التي تخدم هذا العمل، مثل: إضافة بعض القراءات المهمة، وتخريج الأحاديث، وإعادة التنظيم والترتيب أحيانا لبعض الفقرات وغير ذلك، ثم تمت المراجعة النهائية للكتاب في مدينة الرياض، صبيحة يوم الاثنين، السادس من شهر صفر، عام 1432 هـ، الموافق للعاشر من شهر يناير عام 2011م.

---

[1] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (1/ 14).

[2] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (1/ 15).

[3] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (15/ 639).

مصادر المؤلف

يظهر للقارئ في كتاب "واحة التفسير" اعتماد الشيخ أحمد الطويل على عدد كبير من الكتب في سائر العلوم، ويمكن تقسيم الكتب على النحو الآتي:

1. كتب التفسير: كتفسير عبد الرزاق، وجامع البيان للطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، والمحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير البغوي، والكشاف للزمخشري، وزاد المسير لابن الجوزي، ومفاتيح الغيب للرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير القرآن العظيم ابن كثير، والدر المنثور للسيوطي، وتفسير سورة الفاتحة لمحمد بن عبد الوهاب، وفتح القدير للشوكاني، وتفسير السعدي، وروح المعاني للألوسي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، تفسير آيات الأحكام للصابوني، وغيرها من كتب التفسير.
2. كتب في علوم القرآن، وأسباب النزول: كفضائل القرآن لأبي عبيد، وأسباب النزول للواحدي، والإتقان للسيوطي، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر، وغير ذلك.
3. كتب في التجويد والقراءات: كالنشر في القراءات العشر لابن الجزري، وإتحاف فضلاء البشر لأحمد الدمياطي البنا، والبدور الزاهرة لأبي حفص النشار، والبيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ، وبشير اليسر شرح ناظمة الزهر للشاطبي، وشرح أرجوزة العلامة محمد المتولي، والمهذب لمحمد سالم محيسن، والوافي بشرح الشاطبية لعبد الفتاح القاضي، والقراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب، وتعليل القراءات الشاذة لأبي البقاء العكبري، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري، وهداية القارئ لعبد الفتاح المرصفي، وغير ذلك.
4. كتب الحديث: كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، والزهد لابن المبارك، ومصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وجزء رفع اليدين للبخاري، وفضائل

الصحابة للنسائي، والسنن الكبرى للنسائي، ومسند أبي يعلى الموصلي، وشرح مشكل الآثار للطحاوي، وسنن سعيد بن منصور، والمعجم الكبير، والأوسط، والصغير للطبراني، والدعاء للطبراني، وسنن الدارقطني، والعلل للدارقطني، والسنة لابن أبي عاصم، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، والأسماء الصفات للبيهقي، ومجمع الزوائد للهيثمي، وكشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي، وجامع الأصول لابن الأثير، وشرح السنة للبغوي، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي، ومختصر صحيح مسلم للمنذري، والأربعين لعبد القادر الرهاوي، والجامع لآداب السامع للخطيب، وتحفة الأشراف للمزي، والأذكار للنووي، وإرواء الغليل للألباني، وخطبة الحاجة للألباني، ومشكاة المصابيح، وفتح الباري لابن حجر وغير ذلك الكثير.

5. كتب الفقه: كالأم للشافعي، والمغني لابن قدامة، وبدائع الصنائع للكاساني، والاختيار لتعليل المختار لأبي عبد الله بن محمود الموصلي الحنفي، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، والكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر، ومجموع فتاوى ابن تيمية، والمجموع شرح المهذب للنووي، والصلاة لابن القيم، وفقه السنة لسيد سابق، وغير ذلك.
6. كتب في السيرة والتاريخ: كسيرة ابن هشام، والطبقات الكبرى لابن سعد، وتاريخ الطبري، ومختصر تاريخ دمشق لمحمد بن مكرم الشهير بابن منظور، وزاد المعاد لابن القيم، وغير ذلك.
7. كتب متنوعة: مثل أطلس القرآن لشوقي أبو خليل، وفضائل الشام للسمعاني، وغير ذلك.

طبعات الكتاب وثناء العلماء على الكتاب

أولا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب في حياة المؤلف بعنوان: واحة التفسير للشيخ أحمد بن احمد بن محمد بن عبد الله الطويل، الدار العالمية للنشر والتوزيع ودار أبى بكر الصديق، القاهرة، الطبعة الأولى (1438 هـ/ 2016 م)، وقد بلغ عدد أجزاء الكتاب (15) مجلدا، كل مجلّد يحتوي على (600) صفحة تقريبا.

ثانيا: ثناء العلماء:

وقد أثنى عدد كبير من أهل العلم على كتاب "واحة التفسير" وعلى الجهد الذي بذله المؤلف في الكتاب، وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب عددا من التقاريظ تضمنت ثناء العلماء على الكتاب، ومنها[1]:

قال الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي: "اطلعت على جزء من كتاب (واحة التفسير) من تصنيف الأخ الشيخ أحمد بن أحمد الطويل، وفقه الله، فألفيته سالكا مسلك أهل العلم بالتأويل، ألم بجوانب كبيرة من فنونه ... أسأل الله تعالى أن يعم النفع بتفسيره هذا، ويثيبه على ما أودع فيه من علم، حصله من طول بحث اقتضاه جهدا كبيرا وصبرا كثيرا، والحمد لله رب العالمين".

فإن الدكتور عبد الله التركي بين منهج الشيخ أحمد الطويل في اتباعه منهج المفسرين في تأويل كتاب الله عز وجل وتفسير القرآن بالمأثور وهذا مسلك أهل العلم في تأويل كتاب الله عز وجل، وقد أشار لذلك السدلان كما بين إن هذا الأسلوب معاصر ووعظي يعد من التفاسير النافعة والمفيدة التي تتبع منهج السلف في تفسير القرآن الكريم وتناول موضوعاته.

قال الأستاذ الدكتور صالح بن غانم السدلان: "اطلعت على أجزاء من التفسير الموسوم بـ(واحة التفسير) لمؤلفه الشيخ أحمد بن أحمد محمد عبد الله الطويل، ... وبالجملة فهو تفسير نافع مفيد، فيه إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية، أسأل الله تعالى أن ييسر طبعه ونشره، ويعم نفعه ويثيب كاتبه ويأجره خيرا".

وقال الدكتور محمد جاد بن أحمد صالح المصري: "أنعم الله علي بحضور بعض دروس (واحة التفسير) لفضيلة شيخنا العلامة المقريء المفسر الشيخ أحمد بن أحمد بن عبد الله الطويل، أثناء إلقائه لها بجامع أبي هريرة ... كما أنني اطلعت على جزء منه مصورا فألفيته نهج بتفسيره أسلوبا فريدا ... وفي العموم يعد هذا الكتاب إضافة مفيدة للمكتبة الإسلامية فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور يحتاج إليه كل مسلم؛ ولذا فهو ضرورة لكل بيت من بيوت المسلمين لا سيما الدعاة والوعاظ والعلماء المتخصصين".

[1] الطويل، أحمد بن أحمد، واحة التفسير، (ط1/1438 – 2016م)، (ص: 5-12).

أما الدكتور محمد جاد فقد بين جهود الشيخ أحمد الطويل في تفسيره بالمأثور واستماعه لدروس التفاسير من الشيخ مباشرة ووضح أن الشيخ أخرج التفسير من صورة الكتاب إلى حلقات الوعظ والدعوة والإرشاد من خلال القائه في محاضرات أو خطب متفرقة، كما أشار الدكتور الخضيري إلى أن تفسير الشيخ أحمد الطويل يعد من التفاسير الموضوعية التي تعالج القضايا والمشكلات المجتمعية من خلال آيات الذكر الحكيم.

وقال الدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري: "اطلعت على أجزاء من هذا السفر النفيس، والذي دبجته يراعة الشيخ المقريء أحمد بن أحمد الطويل، وفقه الله ونفع به وبعلمه، فوجدته محررا ميسرا جامعا نافعا، سهل العبارة قريب المأخذ، يعنى بالمعاني والمضامين، ويعالج المشكلات من خلال الآيات، ويجعل من القرآن منهاج حياة ودستور عمل".

وقال الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن المقدم: "اطلعت على كتاب (واحة التفسير) للشيخ المقريء أحمد بن أحمد الطويل، حفظه الله، فألفيته تفسيرا جامعا شاملا بذل فيه مؤلفه جهدا كبيرا، وساق فيه الكثير من النصوص عن العلماء المتقدمين والمتأخرين، وأفاد من كتب المفسرين واعتنى بتخريج الأحاديث والقراءات وعد الآي من مصادرها".

الفصل الثاني

المنهج العام في تفسير الشيخ أحمد الطويل

المبحث الأول: البناء الهيكلي في تفسيره

يعد كتاب "واحة التفسير" موسوعة تفسيرية بما تضمنه من تنوع كبير في تفسير كل سورة من سور القرآن الكريم؛ بيانا لسبب نزولها، ثم فضلها، ثم مقاصدها، وتفسير معانيها، تفسير القرآن بالقرآن أولا، ثم تفسيره بالسنة الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين، وتتبع أقوال المفسرين قديما وحديثا، مع ربط كل ذلك بالواقع والأحداث المعاصرة، ويمكن وصف البناء الهيكلي لأسلوب الشيخ في التفسير في النقاط الآتية:

1. يقدم الشيخ لكل سورة بمقدمة تمهيدية وتعريفية بها، تحت عنوان (مقدمة السورة) يذكر فيها:

- ترتيبها في المصحف، وترتيبها في نزول سور وآيات القرآن الكريم.
- أسماء السورة، ومعاني هذه الأسماء وأسباب التسمية.
- عدد آيات السورة في مصاحف الأمصار الستة، المصحف الأول والمدني الأخير، والمكي، والبصري، والشامي، والكوفي، وقد يذكر عدد كلماتها، وحروفها، وقد اعتمد في ذلك على أمهات الكتب، و"البيان في عد آي القرآن" لأبي عمرو الداني(ت444هـ)، و"بشير اليسر شرح ناظمة الزهر" للشاطبي، و"المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز"، وشرح أرجوزة الشيخ محمد المتولي، و"الإتقان" للسيوطي، وغير ذلك.
- يعتني الشيخ بذكر الخلاف بين المصاحف والقراءات في عد بعض الآيات آية أو جزءا من آية، فيعرض الخلاف، وقد يرجح أو يميل إلى احد الاقوال، ومن الأمثلة على ذلك: قوله في تفسير ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[البقرة: 219]: "وهذه الآية تنتهي بقوله تعالى (العفو) وهي معدودة آية في ثلاثة مصاحف؛ هي: المدني الأخير والشامي والكوفي، والمصحف الذي بين أيدينا بالرسم الكوفي؛ لأن حفصا قرأ على شيخه عاصم، وهو أحد أئمة القراءة الثلاثة الذين كانوا

بالكوفة، وهم: عاصم وحمزة والكسائي، وهي غير معدودة آية في المصحف المدني الأول، والمصحف المكي والشامي، وهي آية شديدة التعلق بما بعدها، والبدء بها في التلاوة لا يؤدي معنى صحيحا، فالأولى وصلها بما قبلها؛ ليتم المعنى، لا سيما وأنه مختلف في كونها آية من عدمه، والسبب في عدها آية وعدم عدها أن النبي ﷺ وقف عليها مرة وتركها أخرى"[1].

- **مكان نزول السورة:** يفصّل في ذلك ويذكر الأحاديث والآثار الواردة في هذا، وإذا كان في الأمر اختلاف يذكره الشيخ مع بيان الصحيح أو الراجح، كما في مقدمة تفسير سورة هود. [2]وأحيانا يفصل الشيخ بذكر الآيات التي نزلت بمكة، والآيات التي نزلت المدينة، أو يذكر ما نزل من السورة ابتداء ثم ما نزل منها بعد ذلك، ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره الشيخ في تفسيره لسورة المائدة، فقد ذكر أنها لم تنزل جملة واحدة، وإنما نزلت متفرقة بعد صلح الحديبية، وبعد غزوة ذات الرقاع، والمريسيع، وفي حجة الوداع، وغير ذلك[3].
- يذكر الشيخ **مناسبة السورة لما قبلها** ويوضح التشابه بينهما في المعنى.
- يذكر **مقاصد السورة إجمالا**، وقد يضع عنوانا يسميه: (المقاصد الإجمالية لسورة البقرة)، أو (موضوعات السورة)، ويستعرض القضايا التي سيناقشها قبل أن يبدأ في تفسيره للآية، ويذكر الأصول العقدية التي جاءت هذه السورة لتقريرها كما في مقدمة سورة آل عمران[4]، ومقدمة سورة المائدة[5].
- ربما حدد الشيخ **موضوعات السورة**، وحدد الآيات لكل موضوع، فيبين أن موضوع كذا يبدأ من الآية رقم كذا إلى الآية رقم كذا، وهكذا إلى نهاية السورة، كما في مقدمة تفسير سورة النساء[6].
- يذكر الشيخ **الأحكام التشريعية** المشتملة عليها السورة، ويسردها سردا سريعا دون شرح، كما في مقدمة تفسير سورة النساء[7].

---

[1] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (49/2).
[2] ينظر أحمد الطويل ،واحة التفسير (477/6).
[3] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير(5/4).
[4] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (276/2).
[5] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (10/4).
[6] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (9/3).
[7] ينظر: احمد الطويل، واحة التفسير (10/3).

- يرى الشيخ أن كل سورة من سور القرآن وحدة واحدة متكاملة؛ ولذا قصد أن يجعل كل مجلد من الكتاب يبدأ بسورة وينتهي بسورة، للحفاظ على السياق، وعدم فصل المعنى، عدا سورة البقرة فإنها طويلة يصعب جعلها في مجلد واحد مع سورة الفاتحة، ولذا أكمل تفسيرها في المجلد الثاني.

2. بعد أن ينتهي الشيخ من (مقدمة السورة) يبدأ في تفسير السورة وبيان معانيها تحت عنوان (تفسير السورة)، ويسير الشيخ في تفسيره على النحو الآتي:

- يقوم بتقسيم السورة إلى موضوعات يضع عنوان لأول موضوع تتناوله السورة ثم يذكر الآية أو الآيات التي تتناول هذا الموضوع ويبدأ بتفسيرها.

يذكر الشيخ الآية كاملة أولا، مع ذكر رقمها قبلها وبعدها، ثم يبدأ في تفسيرها بأسلوب يدمج فيه بين تفسيره لكلمات الآية القرآنية وبين كلامه هو، ويعتني في تفسيره بذكر الآيات القرآنية الأخرى التي توضح المعنى، وكذلك بذكر الأحاديث النبوية الصحيحة، مع تخريجها في الهامش وذكر أحكام أهل العلم عليها، كما سيأتي تفصيله، ويربط بين الآيات والأحاديث بأسلوب إنشائي وعظي، وقد ساعده على ذلك عمله خطيبا. من أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[البقرة: 49]، وضع عنوان لذلك وهو عشر منن ونعم على بني إسرائيل، وبدأ في سرد الآيات وتفسيرها[1]..

- أحيانا يبدأ الشيخ تفسيره للآية بذكر الأحكام التي تتضمنها الآية أولا بنحو إجمالي على شكل عناصر، ثم يبدأ بعد ذلك بالكلام عن كل عنصر على حدة، ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ﴿٢٢٨﴾﴾[البقرة: 228]، قال: في هذه الآية خمسة أحكام، فذكرها، ثم بدأ بشرحها حكما حكما[2].

[1] ينظر: واحة التفسير (1/ 230).

[2] ينظر: واحة التفسير (2/ 76).

- بعدما ينتهي الشيخ من تفسير الآية يضع أحيانا عنوانا باسم (أحاديث في معنى الآية)، ويذكر تحته عددا من الأحاديث التي تدل على التفسير الذي ذكره.
- أسلوب الشيخ في التفسير أسلوب أدبي، يعتني بتفسير الكلمات وبيان معاني الآيات بأسلوب إنشائي وعظي، فلا يعتمد في التفسير على نقل تفسيرات السلف للكلمة أو الآية فقط، وإنما يصيغ بأسلوبه هو معنى الآية، مع التركيز على الجانب الوعظي والرقائق، ثم ينقل أقوال السلف في التفسير.

وإن تميز الشيخ احمد الطويل بالأسلوب الأدبي يجعله متمكنا في كتابة تفسير معاصر ينقل مناهج السلف في تفسير القرآن بأسلوب أدبي سهل للعامة ولطلاب العلم.

- يعتني الشيخ في أسلوبه بالتقسيمات والتفريعات مما يساعد القارئ على الفهم، ومن الأمثلة على ذلك: عندما فسر الشيخ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: 5] عرف معنى العبادة أولا في اللغة وفي الشرع، ثم عرف معنى العبد، ثم ذكر الفرق بين تعريف العبادة والعبودية، ثم تكلم عن نوعي العبودية العامة والخاصة، ثم ذكر كيفية تحقيق العبودية، وأقسام الناس حسب تحقق هذا فيهم، ثم تكلم عن عبادة القلب واللسان والجوارح، كل هذا بأسلوب عرض بديع ومنظم، يعتني فيه بالعناوين الفرعية، والتقسيمات.

- يعتني الشيخ –غالبا– بذكر المناسبة بين كل آية والتي قبلها.
- إذا كانت القراءات الواردة في كلمة تؤثر في المعنى أو يترتب عليها تغير في المعنى لكل قراءة يذكرها الشيخ ويوضح المعنى على كل قراءة.
- يذكر الشيخ في الحاشية القراءات الواردة في الآيات القرآنية، وهو يسير على هذا في كامل التفسير، ولا يذكر القراءات في الأعلى إلا إذا ترتب عليها تغيير في المعنى.
- أطال الشيخ في تفسير سورة الفاتحة، وعلل ذلك بأهميتها وعدم تكرارها في المصحف.

- كما أطال في تفسير آيات الصيام والحج في مواضعهما في سورة البقرة، وعلل ذلك بكونهما ذكرا مرة واحدة في سورة واحدة، وهي سورة البقرة.

3. الملاحظ في تفسير الشيخ ندرة نقله لأقوال المفسرين السابقين، فهو وإن كان يعتمد على كلامهم ويرجع في معرفة تفسير الآية لكتبهم كما نص على ذلك في مقدمة الكتاب؛ إلا أن الناظر في التفسير لا يكاد يجد الشيخ يقول: قال الطبري، أو قال ابن أبي حاتم، أو قال ابن المنذر، أو قال الفخر الرازي، وهكذا.

والذي يظهر للباحث: أن هذا الاتجاه سببه اعتماد الشيخ على الأسلوب الأدبي الوعظي في التفسير، فهو يذكر الآية ويذكر شواهدها من الآيات والأحاديث ويربط بين ذلك كله بكلامه هو، بما يقرب المعنى للقارئ ويوصل إليه المراد من الآية، دون أن يطيل بنقل أقوال المفسرين.

4. نقل الشيخ في مواضع من تفسيره عن مفسرين معاصرين، مثل الشيخ الشنقيطي، والشيخ محمد عبده، والأستاذ سيد قطب.
5. يعتمد الشيخ في تفسير الآيات الواردة في سيرة النبي ﷺ، وأخبار غزواته، وكذا سيرة الأنبياء السابقين على الأسلوب السردي القصصي، ولا يقتصر فقط على ذكر معاني الآية، بل يطيل في سرد القصة وحكايتها، معتمدا في ذلك على الأحاديث والآثار الواردة، وكذا كتب الأخبار والتاريخ.

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالمأثور

تعددت مناهج المفسرين واختلفت توجهاتهم في طريقة تفسير القرآن الكريم، فكان منها: منهج تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وهو ما يسمى التفسير بالمأثور، وكان منها التفسير بالرأي سواء الرأي المحمود، أو الرأي المذموم، وقد سبق بيان ذلك.

والمطالع لتفسير واحة التفسير للشيخ أحمد الطويل يلاحظ بقوة أن الشيخ اعتمد في تفسيره على التفسير بالمأثور، فهو يفسر الآية بالآيات الأخرى، ويطيل في ذكر الأحاديث الواردة في معنى الآية سواء كانت تشرحها شرحا مباشرا أو تشرح مقصدها، كما يعتني بنقل أقوال السلف في تفسير الآية، كابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، ومجاهد، وعطاء، وغيرهم، ويذكر ما وجد من أسباب النزول، وإن كان في الآية قراءات أشار إليها وبين المعنى على كل قراءة، كل هذا بأسلوب أدبي وعظي.

أولا: **اعتناؤه بتفسير القرآن بالقرآن.**

يعد القران الكريم المصدر الأول لتفسير القرآن، بل هو أهم مصادر التفسير على الاطلاق، وان خير من يفسر القرآن هو قائله، فما جاء من الآيات مجملا جاء مفصلا في موضع اخر، وما ذكر مطلقا في موضع جاء مقيدا في موضع اخر، وكل ذلك يزيد في توضيح المعنى ويبرزه.

ويوضح هذا جليا حديث عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾[الأنعام: 82]، قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: "ليس كما تقولون، ولكن الظلم في الآية الشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه:﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾[لقمان: 13]"[1].

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: 256)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء: 125]، حديث رقم: (3360)، (141/4)، مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، (د. ط/د. ت)، حديث رقم: (124)، (114/1).

وتفسير القرآن بالقرآن مرحلة تسبق كل مرحلة، يقول الشيخ الذهبي: "ولهذا كان لا بد لمن يعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولا، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبا على معرفة ما جاء موجزا، وبما جاء مبينا على فهم ما جاء مجملا، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره"[1].

فمن اكثر ما ذكره الشيخ أحمد الطويل في هذا الباب –تفسير القران بالقران– هو بيان معنى الآية بآية أخرى واتخذ في ذلك عدة طرق: تارة يذكر الآية المفسرة صراحة، وتارة يشير اليها وتارة يقدم لها، وغير ذلك على اختلاف أسلوبه رحمه الله. ومن اساليبه انه يذكر الآية ونظيرها من الآيات، وكذلك من اساليبه التفسير بالقراءات فبعض القراءات توضح المعنى المراد.

والناظر في تفسير الشيخ يجد ذلك واضحا جليا في كامل التفسير، فالشيخ أقام تفسيره على التفسير بالمأثور مع سبك العبارة بأسلوب وعظي أدبي.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾[الفاتحة: 1]، بدأ الشيخ أولا ببيان أن {الرحمن} صيغة مبالغة للتعبير عن صفة الإحسان والرحمة، إلا أنها لا تدل على كمال صفات الله تعالى غير المحدودة، ولهذا جاءت {الرحيم} لتكمل معنى الرحمة.

ثم تجد الشيخ يؤيد هذا المعنى بآية أخرى، وهي قوله تعالى:﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ۝١٥٦﴾[الأعراف: 156]، ثم يذكر الشيخ بعد ذلك عددا من الآيات التي فيها بيان رحمة الله عز وجل بعباده مثل: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾[الحجر: 49]، وقوله سبحانه: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ

[1] ينظر: التفسير والمفسرون (31/1).

ٱلۡعِقَابِ ذِی ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾[غافر: 3]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٦٧﴾[الأعراف: 167]، وقوله تبارك اسمه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٦﴾[الرعد: 6]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٩٨﴾[المائدة: 98].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ۝٣٩﴾[الأعراف: 39] بعد ما انتهى الشيخ من تفسير الآية قال: "هذا المشهد ذكره القرآن الكريم نحو عشر مرات، وهو مشهد التلاوم والتبرؤ بين أهل النار يوم القيامة ..." ثم ذكر هذه الآيات.

وأحيانا يجمع الشيخ الآيات التي تتكلم عن أمر ما في نفس السورة عند تفسيره لأول آية منها في السورة، ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٩٥﴾[البقرة: 195] ذكر الشيخ أن في السورة أربعة عشر آية تتحدث عن الإنفاق في سبيل الله وآدابه ومبطلاته، ثم ذكرها كلها، ثم لما انتهى منها ذكر الأحاديث الواردة في النفقة، فذكر اثني عشرة حديثا.

عنايته بالقراءات:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنًا بمعنى: تلا تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم، تقول: قرأتُ الماءَ في الحوض أي: جمعته فيه، وسمي "القرآن" قرآنًا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض[1].

[1] ينظر: مجاز القرآن لابي عبيدة معمّر بن المثنى:(1/1-3)

القراءات في الاصطلاح: هو علم بكيفيّة أداء كلمات القرآن واختلافها، معزوًا لناقله[1].

الناظر في تفسير "واحة التفسير" يلاحظ بقوة عناية الشيخ بمسألة القراءات، وبيان المعاني المختلفة المترتبة على اختلاف القراءات، فلا تكاد تمر صفحة في التفسير إلا وفيها تعليق خاص بالقراءات، وليس هذا بغريب على الشيخ فهو أحد علماء القراءات، ومتخصص فيها، وقد تخرج من معهد القراءات –كما سبق في ترجمته– وقد ذكر الشيخ في مقدمة كتابه أنه أثبت وجوه القراءات العشر الكبرى المتواترة من طريق طيبة النشر، وجعل ذلك في الحاشية لمن يريد الاطلاع عليها، حتى لا تنقطع متابعة القارئ للتفسير.

وقد أخذ الشيخ المادة العلمية في القراءات من أمهات كتب القراءات العشر كالنشر في القراءات العشر لابن الجزري، وإتحاف فضلاء البشر لأحمد الدمياطي البنا، والمهذب في القراءات العشر للدكتور محمد سالم محيسن، والبدور الزاهرة لأبي حفص النشار، وغيرهم.

وقد خص الشيخ سورة الفاتحة بمبحث تكلم فيه عن التجويد والقراءات والإعراب فيها، ويظهر للباحث أن ذلك لأهميتها في الصلاة وعدم صحة الصلاة بدونها، وكون اللحن الجلي فيها مما يبطل الصلاة.

ومن الأمثلة على عناية الشيخ بذكر القراءات –وهي كثيرة جدا– في تفسير قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾[البقرة: 2]، وضع الشيخ حاشية عند كلمة (لا)، وقال: قرأ حمزة بخلف عنه بمد (لا) مدا متوسطا، مبالغة في النفي، وقرأ بقية القراء ومعهم حمزة في وجهه الآخر بالقصر، على أنها لمجرد النفي، ووضع حاشية أخرى عند كلمة (فيه)، وقال: قرأ ابن كثير بصلة هاء الضمير بياء لفظية،

وقرأ الباقون بترك الصلة، وأدغم أبو عمرو ويعقوب بخلف عنهما هاء (فيه) في هاء (هدى) والباقون بالإظهار[2].

[1] " منجد المقرئين ومرشد الطالبين" لابن الجزري: ص9.

[2] ينظر: واحة التفسير (146/1).

كما يعتني الشيخ بتوجيه القراءات، ومن الأمثلة على ذلك قوله: وقد أجمع القراء العشرة على رفع الدال في قوله تعالى:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة: 2]؛ لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى[1].

وإذا كانت القراءات الواردة في كلمة تؤثر في المعنى أو يترتب عليها تغير في المعنى فان الشيخ يذكرها ويوضح المعنى على كل قراءة. ومن الأمثلة على ذلك قوله في تفسير قوله تعالى:﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١١٠﴾[التوبة: 110]: ﴿تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ أي: إلى أن تنقطع قلوبهم بموتهم، أو قتلهم، أو بندمهم وتوبتهم، وخوفهم غاية الخوف، وكذا كل من كان على شاكلتهم إلى يوم القيامة. وفي قراءة يعقوب: {إلى أن تقطع قلوبهم} بلام الجر وليست (إلا) الاستثنائية، وهي توضح هذا المعنى، وعلى قراءة الجمهور بالاستثناء يكون المعنى: لا يزل البناء في قلوب المنافقين موضع ريبة وقلق، إلا في وقت واحد، هو وقت موتهم وهلاكهم"[2].

ثانيا: اعتناؤه بتفسير القرآن بالسنة النبوية.

من المعلوم أن للسنة دورا كبيرا في تفسير القرآن وإيضاح معانيه وتفصيل مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عامه ونحو ذلك، يقول الشاطبي: "السنة راجعة في معناها إليه؛ تفصل مجمله، وتبين مشكله، وتبسط موجزه"[3].

والمطالع لتفسير الشيخ يجد منه اهتماما كبيرا جدا بذكر الأحاديث الواردة في تفسير الآية بصورة مباشرة أو الأحاديث المتعلقة بمعناها، وهو يكثر من ذكرها بصورة واضحة جدا.

---

[1] ينظر: واحة التفسير (64/1).

[2] ينظر: واحة التفسير (239/6).

[3] ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق (ت:790)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، (ط1/1417هـ/1997م)، (4/1).

ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ٢٧٣﴾[البقرة: 273]، وضع الشيخ عنوانا، قال: وهذه جملة من الأحاديث الواردة في ذم السؤال، ثم ذكر ثلاثة عشر حديثا.

بل قد يبدأ الشيخ تفسير الآية بذكر الأحاديث الواردة في معناها قبل أن يذكر معناها بأسلوبه الأدبي، كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾[النساء: 4]، فإن الشيخ بعد ذكر الآية مباشرة ذكر الأحاديث المتعلقة بها، ثم ذكر معنى الآية وتكلم عن تفسيرها بعد ذلك ولعلي استعرض صورة الشيخ الواعظ على منبره[1].

وطريقة الشيخ في ذكر الأحاديث أن يكتفي بذكر الراوي الأعلى مع متن الحديث، ونادرا ما يذكر الإسناد كاملا، مثل قوله: "ومن الآثار الواردة في ذلك ما رواه ابن جرير قال: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني المعتمر بن سليمان، عن عوف، قال: سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم، قال: ثني رجل كان في المشركين يوم حنين، قال: "لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة، قال: فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في أدبارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ. قال: فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا، قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا، فكانت إياها"[2].

ويشير إلى مصادر الحديث مع الحكم عليه في الحاشية، مع الاكتفاء في العزو برقم الحديث في بعض المصادر، أو الجزء والصفحة في بعض المصادر الأخرى.

وقد يذكر الشيخ أحيانا مصادر التخريج في المتن بالأعلى، وهو حينئذ لا يعيده في الحاشية.

[1] ينظر: واحة التفسير (27/3).

[2] ينظر: واحة التفسير (68/6).

ويعتني الشيخ بذكر الحكم على الأحاديث والآثار التي يذكرها، وهو يعتمد في ذلك على ما يجده من كلام أهل العلم المتقدمين كالترمذي، أو المتأخرين كابن حجر والسيوطي، أو المعاصرين كالشيخ الألباني، أو محققي كتاب المسند، ويصرح بذلك في كل موضع ينقل فيه حكما لأحد من علماء الحديث.

وقد يحكم الشيخ على الإسناد دون عزو لأحد، ويظهر للباحث أن حكم الشيخ في هذا الحالة ناتج عن بحثه هو على الإسناد؛ فقد ذكر الشيخ في مقدمة الكتاب أنه اعتنى بتخريج الأحاديث والحكم عليها.

ومن الأمثلة على ذلك قوله: "وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد ..."[1].

وإذا أورد الشيخ حديثا بالمعنى فانه يشير إلى ذلك، كما في قصة جمع رسول الله ﷺ يهود المدينة في سوق بني قينقاع، بعد نصر بدر[2].

ثالثا: اعتناؤه بتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

يقول الشيخ أبو زهرة: أما المرتبة التي تلي مرتبة السنة فهي أقوال الصحابة في فهم معاني القرآن الكريم؛ فكلامهم في هذا له اعتبار في فهم الكتاب العزيز لما يأتي:

أ- إن الصحابة هم الذين سمعوا القرآن الكريم ابتداء، وهم الذين شاهدوا وعاينوا، وتلقوا التفسير عن النبي ﷺ، وكان ما يخفى عليهم يسألون عنه النبي ﷺ، ويروى عن عثمان أن النبي ﷺ كان كلما تلا عليهم طائفة من الآيات تولى تفسيرها لهم، فكان تفسيرهم أقرب إلى السنة، بل يعده الكثيرون من السنة، ما دام لا يمكن أن يكون للرأي فيه مجال.

ب- أنهم الذين شاهدوا أسباب النزول، وعلموا في أي موضع نزلت آي الكتاب الكريم، وأسباب نزولها، ولا شك أن أسباب النزول طريق معبد لفهم الكثير من الآيات الكريمات؛ لأن أول ما ينطبق عليه المعنى للآية القرآنية هو ما كان سببا لنزولها، ثم يعمم الحكم بعموم اللفظ جريا على قول الفقهاء في محكم قواعدهم "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

---

[1] ينظر: واحة التفسير (77/2).

[2] ينظر: واحة التفسير (306/2).

ج- وإن الصحابة أعلم الناس بمعاني الألفاظ القرآنية من العرب، ومن أعلم الناس بلغة العرب، وما يكون غريبا بالنسبة لنا لا يكون غريبا بالنسبة لهم، والألفاظ معروفة معانيها لهم [1].

وقد اعتنى الشيخ بذكر أقوال الصحابة والتابعين الواردة في تفسير الآيات، مع تخريجها والحكم عليها، ومن الأمثلة على ذلك:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾[الأعراف: 43].

قال الشيخ: وعن علي ﷺ، قال: "فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾[2].

وعن قتادة، عن علي ﷺ: "إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾[3].

وعن السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما[4]: إن أهل الجنة إذا سبقوا إلى الجنة فبلغوا، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غل، فهو الشراب الطهور، واغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها أبدا[5].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ ١٢﴾[سبأ: 12] قال الشيخ: قال سعيد بن المسيب: كان سليمان عليه السلام يركب الريح من إصطخر - وهي بلدة في إيران - فيتغدى في بيت المقدس، ثم يعود فيتعشى في إصطخر. وقال الحسن: كان سليمان يغدو من بيت المقدس فيقيل

[1] ينظر: أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (ص: 399).
[2] أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، ينظر: السيوطي، الدر المنثور (3/ 457)، ضعيف وفيه ارسال
[3] أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، ينظر: السيوطي، الدر المنثور (3/ 457)، ضعيف وفيه ارسال
[4] أخرجه الطبري عن السدي وعن علي وابن عباس، وذكره محقق زاد المسير وقال اسناده عن علي لا بأس به، ينظر: زاد المسير في علم التفسير (4/ 28).
[5] ينظر: واحة التفسير (82/5).

بإصطخر، ثم يروح من إصطخر فيبيت بقلعة خراسان. وقال أيضا: كان سليمان يخرج من تدمر التي بنتها له الجن، فيقيل في إصطخر، ويبيت في كابل، ثم قال الشيخ: والله أعلم بصحة هذه الآثار الثلاثة، ويبدو أنها لا أصل لها [1].

رابعا: اعتناؤه بأسباب النزول[2].

المطالع للتفسير يجد أن الشيخ يعتني بذكر أسباب النزول، ويذكر ما ورد في أسباب نزول الآية معتمدا في ذلك على كتاب الواحدي والسيوطي غالبا[3]، وعادة الشيخ أن يضع عنوانا تحت تفسير الآية، يقول: أسباب النزول، ثم يذكر الروايات الواردة فيها، ويوثق كل رواية من مصدرها.

خامسا: اعتناؤه بذكر الأحكام والفوائد في التفسير.

من عادة الشيخ في تفسيره أنه إذا جاءت آية تتحدث عن أصل من أصول الإسلام، أو كان فيها أمر يندرج تحته عدد من المسائل أو القضايا فإن الشيخ بأسلوبه الوعظي الإنشائي يطيل في الكلام عنه ويذكر ما يتعلق به، سواء أكانت أحكاما عقدية، أو فقهية، أو اجتماعية، ومن الأمثلة على ذلك: تفسير الشيخ لآيات المواريث في سورة النساء؛ فإن الشيخ قد أطال في شرح مسائل الميراث حتى كأن القارئ يشعر أنه يقرأ في كتاب من كتب الفقه.

وقد يذكر بعدما ينتهي من تفسير الآية بعض الأحكام المستنبطة منها، ففي تفسير سورة البقرة عندما انتهى من تفسير آية الدين وضع عنوانا، فقال: وهذه بعض الأحكام المستنبطة من الآية، ثم ذكر إحدى وأربعين فائدة من الآية.

---

[1] ينظر: واحة التفسير (23/11).

[2] وسيأتي في قضايا علوم القرآن تعريف أسباب النزول وأهميتها واعتناء الشيخ بذكر أسباب النزول والتعليق عليها.

[3] وهما من اهم المصادر التي جمعت الروايات الواردة في بيان سبب نزول الآيات. امتاز الواحدي بضبط الرواية ونقل الاقوال المعتمدة بينما وسع السيوطي المادة وزاد الاستقراء، وتكمن أهميتهما في إيضاح سياق الآيات وفهم دلالتها ومعرفة الحكمة من تشريعها.

وقد يذكر الشيخ الفوائد أو الأحكام المستنبطة من عدد من الآيات بعد تفسيرها، ففي تفسير سورة التوبة بعدما انتهى الشيخ من تفسير سبعة وعشرين آية من أول السورة وضع عنوانا قال فيه: (مجمل ما في الآيات السابقة من أحكام)، وذكر الأحكام والفوائد التي اشتملت عليها الآيات[1].

[1] ينظر: واحة التفسير (73/6).

المبحث الثالث: عنايته باللغة

نزل القرآن الكريم في أعلى درجات البلاغة والفصاحة مما جعل العرب يعجزون عن الإتيان بمثله. ولأن اللغة هي الأساس في فهم القران الكريم وتفسيره فقد اعتنى بها المفسرون منذ عهد الصحابة.

وضّح الشيخ في المقدمة[1] منهجه في هذا، وبين أن هذا التفسير سهل العبارة، واضح المعنى، غزير المعنى الإجمالي، ليس فيه اشتغال بأوجه البلاغة أو النحو، ولا التحليل اللفظي للكلمات إلا ما يفهم به المعنى ،ومع ذلك فقد اظهر الشيخ اهتماما لغويا أوضح في تفسير سورة الفاتحة ،حيث تناول فيه بعضا من القضايا اللغوية كالتقديم والتأخير والإعراب والمشترك وغيرها.

ومن الأمثلة ما ذكره الشيخ فما يتعلق بالأساليب اللغوية: في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة: 2]:قال: "واللام من لفظ الله للاستحقاق، أي: أن الحمد لله مستحق ومستقر وثابت لله تعالى على نعمه"[2].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[الفاتحة: 3] صفتان مشتقتان من الرحمة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وزيادة المبنى تدل على كثرة المعنى، فهما صفتان لمعنى واحد، وهو الرحمة [3].

عنايته بالإعراب

نادرا ما نجد الشيخ الطويل يتكلم في بيان الاعراب في تفسيره للآيات، عدا سورة الفاتحة فقد خصص لها فقرة خاصة للإعراب[4].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾[البقرة: 2]، قال: وقد حذف معمول (هدى) لإرادة العموم، فهدايته عامة وليست خاصة، والمنتفعون بهذه الهداية هم المتقون من عباد الله [5].

---

[1] ينظر: واحة التفسير (17/1)

[2] ينظر: المصدر السابق (64/1).

[3] ينظر: المصدر السابق (74/1).

[4] ينظر :ا لمصدر السابق(116/1-118)

[5] ينظر: واحة التفسير (146/1).

المبحث الرابع: موقفه من الإسرائيليات

ذكر الشيخ في مقدمة تفسيره رأيه بوضوح في مسألة الإسرائيليات فقال: "أخبار بني إسرائيل مسكوت عنها شرعا، لا تصدق ولا تكذب، وما كان منها لا يتعارض مع الكتاب والسنة فلا مانع من إيراده، إذا كان فيه عبرة، أو موعظة، أو فائدة، أو موافقة تاريخية تتفق مع ثوابت الإسلام"[1].

وقد التزم الشيخ الطويل بهذا المنهج في ثنايا تفسيره إلى حد كبير، فنجده عند تفسيره للمقصود بالبرهان في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[يوسف: 24] يقول: "ويوسف عليه السلام فكر في أمر المرأة، ولولا أنه رأى برهان ربه لهم بها، ولكنه وجد برهان ربه فلم يهم بها، فالهمّ منفي لرؤية البرهان، وهو آية من ربه حالت بينه وبين القصد والعزم، والهمّ بالسيئة مع عدم الوقوع فيها لا ينافي عصمة الأنبياء، وهذا البرهان هو ما آتاه الله من الحكم والعلم ومعرفته بالحلال والحرام، وأن الزنى حرام، وقيل في المراد بالبرهان أقوال:

أ- فوازع التقوى في نفس يوسف هو الذي حال بينه وبين الفاحشة.

ب-وقيل: هو الحجة والعصمة التي حالت بينه وبين أن ينتقل هذا الهم من مرحلة الخاطرة إلى مرحلة الفعل.

ج- ويقال: إن يعقوب عليه السلام قد تجلى ليوسف عليه السلام وظهر له في صورته، عاضا على إصبعه محذرا له، أو إنه: ضربه في صدره وخرجت شهوته من أنامله.

د- وقيل: إن امرأة العزيز سترت صنما لها بثوب، حينما غلقت الأبواب؛ حتى لا يراه يوسف، فيستحي منه على حد زعمها، فقال يوسف: أنا أحق أن أستحيي من ربي؛ فهرب منها.

هـ- وقيل: إن جبريل عليه السلام تمثل ليوسف؛ فزجره ونهاه.

[1] ينظر: واحة التفسير (18/1).

و- وقيل: إنه قرأ في سقف البيت (ولا تقربوا الزنى) وغير ذلك مما ذكره بعض المفسرين، وهو من الإسرائيليات التي لم يثبت فيها خبر صحيح. والصحيح أن (البرهان) الذي رآه يوسف هو علمه بتحريم الزني، وعصمة الله له من الوقوع في الفاحشة وما آتاه الله من الحكم والنبوة، بدليل قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[يوسف: 24]"[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[البقرة: 248] يورد بعض الإسرائيليات الواردة في معنى (التابوت)، ويشير في الحاشية إلى أن مصدرها الأساسي هو التوراة، فيقول: "قصة التابوت في أول الفصل الخامس والعشرين والسابع والعشرين من سفر الخروج"[2].

وقد أورد الشيخ الطويل هذه الأقوال في المراد بـ(التابوت) من باب (ما لا يصدّقون فيه ولا يكذّبون)، وهو ما لم يرد في الشرع الإسلامي – القران والسنة الصحيحة – ما يدل على صحتها ولا ما يدل على بطلانها، ولو كان في معنى التابوت الذي أشار إلى كونه من التوراة ما يخالف نصا صحيحا لنبه عليه، وهذا يعني أنه يسير على منهجه الذي اختطه لنفسه أول الأمر.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الأنبياء: 83] نجده يعلق على الإسرائيليات الواردة في قصة أيوب فيقول: "ومن الحكايات ما يسمى بصبر أيوب، من نسج أهل القصص والروايات، وهي خرافات لا تليق بنبي من أنبياء الله تعالى،

[1] واحة التفسير (41/7).

[2] ينظر: حاشية واحة التفسير (144/2).

والقرآن الكريم يشير إلى أن الله قد ابتلاه، وأنه دعا ربه بقوله: أني مسني الضر أي مسني الضر في أهلي ومالي وولدي، ولم يشتك أيوب، ولم يجزع، ولم يطلب تغيير الحال، ولم يقترح شيئا، وإنما يقول في أدب جم يا رب أنت أهل لأن ترحم عبادك، وأنا عبد أستحق الرحمة فارحمني بفضلك، فأنت أرحم الراحمين، فاستجاب الله له، وقال له: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾[ص: 42]

فضرب الأرض برجله، فنبعت عين ماء باردة، فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله ما به من أذى، ومن المتفق عليه أن أيوب كان في غاية الصبر، وبه يضرب المثل في الصبر، وقد ابتلي في ماله وولده وجسده فصبر واحتسب، ولجأ إلى الله تعالى يسأله كشف ما به من ضر، والله تعالى يخاطب خاتم الرسل في هذه الآية، فيقول: (واذكر يا محمد عبدنا أيوب)، فقد ابتليناه بضر وسقم عظيم في جسده، وفقد أهله وماله وولده، فصبر واحتسب ربه قائلا: إني قد أصابني الضر وأنت أرحم الراحمين، فاكشفه عني، فكشف الله عنه البلاء وأجزل له العطاء[1].

وكما نرى فقد ذكر الشيخ أن قصة أيوب ورد في تفسيرها الكثير مما لا يليق بمقام نبوته، وأنها من الخرافات، وهي إشارة لما جاءت به بعض التفاسير من قصص واهية في المرض الذي أصابه، وطبيعة صبره على هذه الأمراض، ثم أتبع الشيخ ذلك بكلام يتفق مع مجمل الأدلة الشرعية التي توجب تنزيه ساحة الأنبياء مما ينفر الناس منهم، وبالتالي يمكن القول بأن الشيخ كان وفيا لمنهجه في عدم إيراد الإسرائيليات التي لا توافق صحيح الأدلة، والرد عليها.

خلاصة موقف الشيخ من الاسرائيليات: إن الشيخ أحمد الطويل قد وضع منهجا في تفسيره وهو أن الإسرائيليات مسكوت عنها لا تصدق ولا تكذب وما كان لا يتعارض مع الكتاب والسنة فلا مانع من ايراده إذا كان فيه عبره أو موعظة أو استئناس أو زيادة فائدة، وإن الشيخ التزم بهذا المنهج، وقد أورد بعض

[1] واحة التفسير، (103/9)

الاسرائيليات للفائدة، وأما ما خالف الشرع أو كانت من الخرافات فقد ذكرها في كتابه في معرض الرد عليها وبيان خطئها.

تقييم منهجه في الإسرائيليات: إن منهج الشيخ أحمد الطويل واضح وصحيح وقد التزم به وإنما يؤخذ عليه الاكثار من الاسرائيليات في كتابه وذكرها في مسائل العقيدة وفي بيان معاني القرآن وهذا مخالف لما عليه السلف في ترك ما ورد من الأخبار عن بني إسرائيل.

الفصل الثالث

قضايا علوم القرآن في (واحة التفسير)

المبحث الأول: أسباب النزول

يرى البعض أنه لا طائل من معرفة أسباب النزول لجريانه مجرى التاريخ، وأخطأوا في ذلك، بل له فوائد، منها؛ معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها أيضا[1]:

1. تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
2. أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، ولا التفات إلى من شذ فجوز ذلك.
3. الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال[2]، قال الواحدي: "وأسباب النزول أوفى ما يجب الوقوف عليه، وأولى ما تصرف العناية إليه، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[3]، وقال ابن دقيق العيد: "وبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر يحصل للصحابة بقرائن تحف بالقضايا"[4]، وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب؛ ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها"[5].

---

[1] للتوسع ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (109/1-114)، 108. المزيني، خالد بن سليمان، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، (ط1/1427 هـ – 2006 م)، (26/1-37).

[2] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (108/1).

[3] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، (ط2، 1412هـ -1992م)، (ص: 8).

[4] ابن دقيق العيد، تقي الدين ابن دقيق العيد (625 – 702 هـ)، إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، دار عالم الكتب بيروت – بالاتفاق مع دار الكتب السلفية بالقاهرة، (1407هـ-1987م)، (259/2).

[5] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت 728هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (1490هـ/1980م)، (ص: 16).

تعريف أسباب النزول: عرفه السيوطي بقوله والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه[1].

وقال المزيني: كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه[2].

أهمية أسباب النزول:

قال الواحدي عن أسباب النزول: (إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) [3].

وقال ابن تيمية: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رُجع إلى سبب يمينه، وما هيجها وأثارها)[4].

وقد بلغت عناية الشيخ الطويل بأسباب النزول عناية كبيرة، حتى لا يكاد يتحدث عن آية لها سبب نزول إلا ويذكر سبب نزولها، واعتمد بشكل أساسي على كتابي أسباب النزول للواحدي، والسيوطي، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

1. في ثنايا تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾[البقرة: 8]، وبعد أن بين أن هذه الآية تتحدث عن المنافقين من أهل الكتاب، ذكر في عقبها سبب النزول ليؤكد ما ذهب إليه [5]. فقال: "قال ابن عباس ﷺ: نزلت هذه الآيات في منافقي أهل الكتاب، كانوا إذا لقوا المؤمنين يظهرون الإيمان والتصديق ويقولون: إنا لنجد في كتابنا نعته ووصفه[6].

---

[1] ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب (1/ 93).

[2] المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (1/ 105).

[3] الواحدي، أسباب النزول (ص: 8).

[4] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: 16).

[5] ينظر: واحة التفسير (158/1).

[6] الواحدي، أسباب نزول القرآن، (ص: 25).

2. وعند حديثه عن قول الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[البقرة: 133]، وبعد أن بين أن المخاطب بهذه الآية هم اليهود الذين زعموا أن يعقوب مات على اليهودية، وأوصى بها ذريته من بعده؛ ذكر عقبها ما يدعم ما ذهب إليه مستشهدا بسبب النزول[1]، فقال: "وقد ورد أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية، فنزلت هذه الآية"[2].

3. وعند حديثه عن قول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: 142] وبعد أن بين أن المراد بالسفهاء هم عامة المشركين والمنافقين واليهود، أورد سبب نزول الآية بما يدل على ما مذهبه في فهم الآية، فقال: "أخرج الطبري وابن أبي حاتم والبيهقي بإسناد حسن عن ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة في شهر رجب، على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم النبي الله، المدينة، أتى رسول الله: رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي رافع والحجاج بن عمرو، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وكنانة بن أبي الحقيق، فقالوا: يا محمد، ما ولاك عن قبلتك التي، كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه فأنزل الله سيقول السفهاء إلى قوله: ممن ينقلب على عقبه"[3].

4. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء: 110]، نجده يقول: "قيل: إن الآية نزلت لترغيب (طعمة)[4] في التوبة، يعرضها

---

[1] ينظر: واحة التفسير (399/1).

[2] الواحدي، أسباب نزول القرآن، (ص: 44).

[3] واحة التفسير (412/1).

[4] هو طعمة بن أبيرق (ويقال: بشير بن ابيرق) من الأنصار في المدينة

عليه رب العالمين[1]، وقيل: إنها نزلت في قومه الذين جادلوا عنه، وهي عامة في كل مسيء مذنب[2]، والآية تدل على أن التوبة مقبولة من جميع الذنوب الصغائر والكبائر؛ لأن ظلم النفس أعم من عمل السوء"[3].

يقول الإمام الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندنا: أنه عنى بها كل من عمل سوءا أو ظلم نفسه، وإن كانت نزلت في أمر الخائنين والمجادلين عنهم الذين ذكر الله أمرهم في الآيات قبلها" [4].

ومن خلال هذه الأمثلة يمكن القول: إن الشيخ الطويل تعامل مع أسباب النزول وفق منهج واضح يقوم على ما يأتي:

- أولا: اعتماده أسباب النزول باعتبارها عاملا مهما في بيان المعنى المراد من الآية.
- ثانيا: اعتماده على أسباب النزول في معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

[1] ينظر: جامع البيان، الطبري (475/7).
[2] ينظر: المصدر السابق، (475/7).
[3] واحة التفسير (110/3).
[4] جامع البيان، (475/7).

المبحث الثاني: إعجاز القرآن

إن وجوه الإعجاز في القرآن كثيرة؛ منها: إعجاز من جهة اللفظ، وإعجاز من جهة المعنى، وإعجاز من جهة الإخبار بأمور غيبية، وإعجاز من جهة التشريع، وكذلك ما يضيفه بعض العلماء للقرآن من إعجاز علمي، يقول الرافعي: "إنه –القرآن– هداية إلهية في أسلوب إنساني يحمل في نفسه دليل إعجازه، ويكون القرآن منفردا في التاريخ بأنه منذ أنزل لا يبرح في كل عصر يظهر من ناحيتين صادقتين: ناحية الماضي، وناحية الحاضر، ولم يأت دين من الأديان بمعجزة توضع بين أيدي الناس يبحث فيها أهل كل عصر بوسائل عصرهم بمثل ما جاء به القرآن"[1].

وقد ركز الشيخ الطويل على إعجاز القرآن من نواح عدة، منها:

1. **الإعجاز اللغوي والبلاغي**، وتحدي العرب والعجم والإنس والجن على أن يأتوا بمثله، ومن أمثلة ذلك ما ذكر في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[البقرة: 23]، حيث يقول: "والإيمان بمحمد ﷺ يقتضي بالضرورة الإيمان بالوحي الذي نزل عليه من عند الله تعالى وهو القرآن الكريم، الذي يتحدى البشر إلى يوم القيامة بإعجازه وبلاغته وعلومه وأخباره... لقد تحدى الله الكفار والمشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل عشر سور منه فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بأقصر سورة منه فعجزوا ... فهذا القرآن معجز بأسلوبه ونظمه... معجز في بلاغته، وأحكامه وتشريعاته، وعلومه، وكل ما جهله البشر، معجز في اشتماله على أمور غيبية، وسلامته من الاختلاف"[2].
2. **الإعجاز العلمي**، وإثبات أن النظريات العلمية جاءت موافقة لما جاء في القرآن الكريم ولا تتعارض معه، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء: 30]، حيث يقول:

[1] الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مؤسسة هنداوي، (ط 8، 2022م)، (ص: 12).

[2] واحة التفسير (177/1– 180) بتصرف.

"والنظرية العلمية تقول: إن المجموعة الشمسية المؤلفة من الشمس وتوابعها، ومنها الأرض والقمر، كانت سديما، ثم انفصلت وأخذت أشكالها الكروية، وأن الأرض كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها وبردت وهذه النظرية الفلكية لا تتعارض مع المفهوم الإجمالي للنص القرآني"[1].

3. **الإعجاز بالإخبار بالغيب**، وإعلام الله لنبيه وللمؤمنين بما سيحدث في المستقبل، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾[الروم:1-5]، حيث يقول: "وهذا من الأمور الغيبية التي أطلع الله عليها رسوله قبل وقوعها، وهي من معجزاته"[2].

4. **إعجاز القران في أحكامه وتشريعاته:** وذكر الشيخ الظويل ان القران يشمل على أصول العقائد وأحكام العبادات،وقوانين الفضائل والآداب، والتشريع المدني والسياسي والجنائي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، التي تصلح كل زمان ومكان[3].

5. وقد أشار إلى بعض أوجه **الإعجاز العلمي** في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾[الذاريات: 47] نقلا عن الشيخ الشنقيطي في تفسيره[4]؛ فقال: "وعبر سبحانه عن خلق السماء بالبناء؛ لأن السماء تبدو كالقبة وهي بناء، وإنا لقادرون على توسعتها بتلك الصورة العجيبة وهذه السعة تشمل مدارات النجوم والكواكب والمجرات التي تحوي مئات الملايين من النجوم، وتشمل طبقات الفضاء التي تتناثر فيها النجوم والكواكب، فهذه التي تعد بالملايين لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرحيب"[5].

---

[1] واحة التفسير (41/9).
[2] واحة التفسير (376/10).
[3] ينظر: واحة التفسير (179/1).
[4] ينظر: أضواء البيان، (669/7)
[5] واحة التفسير (38/13).

وبالتالي يمكن القول بأن منهج الشيخ الطويل في الحديث عن إعجاز القرآن يتمثل في ثلاث نقاط رئيسة:

أولا: التأكيد على أن الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن هو الأصل.

ثانيا: أن هذا الإعجاز قام على أساسه تحدي الله ﷻ للإنس والجن على أن يأتوا بمثله.

ثالثا: إثبات أن القرآن قد اشتمل على أوجه متعددة للإعجاز غير لغته وفصاحته، منها ما يتعلق بالإخبار بالأمور الغيبية، ومنها ما يتعلق بالإعجاز العلمي.

المبحث الثالث: الناسخ والمنسوخ

أولى العلماء علم الناسخ والمنسوخ عناية كبيرة، وتناولوه كأحد أهم مباحث علوم القرآن الكريم، وأفرده بعضهم بالكتابة كقتادة بن دعامة السدوسي، والزهري، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي جعفر النحاس، وابن حزم الظاهري، وابن العربي المالكي، وغيرهم، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية ومكانة العلم بالناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

ومعرفة الناسخ والمنسوخ تتوقف على الدليل الشرعي ولا مكان للعقل أو الاجتهاد، والعلماء متفقون على أن مجال النسخ هو الأوامر والنواهي الشرعية دون غيرها، أما مسائل الاعتقاد والأخلاق فلا، ولمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند عموم أهل العلم؛ إذ بمعرفته تعرف المسائل الشرعية ما بقي حكمه منها وما نسخ"[1].

وقد سلك الشيخ الطويل في كلامه عن الناسخ والمنسوخ طرقا عدة، منها:

1. إثبات النسخ ووقوعه بين الشرائع التي جاء بها المرسلون، ففي ثنايا حديثه عن قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾[البقرة: 106] يقول: "يشير الربع السادس من سورة البقرة في مطلعه إلى الحملة الخبيثة الماكرة التي يشنها اليهود ضد الإسلام بالتشكيك والطعن فيه، ومحاولة إخراج أهله منه، وهذا الأمر قديم متجدد، فهو الذي تقوم به الصهيونية العالمية والصليبية العالمية في كل عصر ومصر، وهو نفسه الذي حدث في عهد الرسول، فقد اعتذر اليهود عن عدم إيمانهم بالنبي بقولهم: {نؤمن بما أنزل علينا} ويكفرون بغيره، فهم يزعمون أن شريعتهم لا تنسخ وأن محمدا صلى الله عليه وسلم وصفها بأنها حق، وأنه جاء مصدقا لها، فكيف يكون شرعه مبطلا للتوراة؟! فرد الله عليهم بهذه الآية، ينكر عليهم زعم

[1] ينظر: القطان، مناع بن خليل (ت 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (ط3/1421هـ- 2000م)، (ص: 237).

القول بعدم النسخ مع أنه مذكور عندهم في التوراة؛ فإنكارهم له كفر واتباع الهوى؛ لأنهم يريدون بذلك التوصل إلى إنكار الرسالة الخاتمة، بدعوى أن رسالتهم لم تنسخ وهو كلام باطل فشريعتهم منسوخة برسالة عيسى، ورسالة عيسى منسوخة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم"[1].

2. بيان معنى النسخ وأنواعه، ومن أمثلة ذلك قوله: "والنسخ الذي يكون في آيات الكتاب العزيز معناه: رفع الحكم الشرعي عن المكلفين بدليل شرعي متأخر عنه، وقد حدث النسخ في جميع الأمم من لدن آدم، فقد نسخ زواج الأخ بالأخت من بني آدم لصلبه وحرم على من بعده، وكان نكاح الأختين مباحا لبني إسرائيل فحرمته التوراة وحدث النسخ في شريعة نوح حين خروجه من الفلك بحل أكل لحوم الدواب له ولذريته، ثم نسخ حل بعضها، وأمر إبراهيم بذبح ولده، ثم نسخ قبل الفعل، وأمر بني إسرائيل بقتل من عبد العجل ثم رفع الحكم حتى لا يستأصلهم القتل... والنسخ في الإسلام على ثلاثة أنواع؛ الأول: نسخ الآية والحكم معا، فالآية لم تعد تقرأ، وحكمها قد رفع عن المكلفين فليس معمولا به... الثاني: نسخ التلاوة دون الحكم، أي أن الآية نسخت، ولكن بقي حكمها معمولا به ... الثالث: نسخ الحكم وبقاء التلاوة ..."[2].

3. إثبات النسخ ووقوعه في الشريعة المحمدية، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾[البقرة: 144]، حيث يقول: "وفي هذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله وإبلاغه؛ لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء"[3].

---

[1] واحة التفسير (330/1).

[2] واحة التفسير، (331/1 – 334) بتصرف.

[3] المصدر السابق، (421/1).

4. ومن خلال قوله تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾[النور: 2] أشار إلى نوع من أنواع النسخ، وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم، فيقول: "أما حد الزاني المحصن أي الذي سبق له الزواج، ووطئ في نكاح صحيح، وكان بالغا عاقلا، فهو الرجم حتى الموت، وقد أخذ هذا الحكم من الكتاب والسنة، أما الكتاب فبآيتين: آية منسوخة التلاوة باقية الحكم، وهي قوله تعالى: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم" [1]. ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قال عمر له وهو جالس على منبر رسول الله: إن الله قد بعث محمدا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها، ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس، زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف"[2] ... وقد رفع الإمام مالك هذا الإشكال فبين أن المراد بالشيخ والشيخة: الثيب والثيبة سواء أكانا شابين أم لا؛ فهذا الحديث دليل صريح على أن الرجم ثابت بآية من كتاب الله، أنزلت على رسول الله ، وقرأها الصحابة، ووعوها وعقلوها ، ثم نسخت تلاوتها وبقي حكها، لأن النبي قد فعله، والصحابة قد فعلوه من بعده كما جاء في الصحيحين، ولكن ما الحكمة في نسخ تلاوتها وبقاء حكمها؟ قالوا: لأن الله سبحانه لم يرد التعبد بهذه الآية، ولم يرد تلاوتها، إنما أراد بقاء حكمها فحسب، فأنزلها الله تعالى بعض الوقت، حتى فهمها الصحابة وأدركوها وعملوا بما فيها، وفهمتها الأمة، ثم نسخها الله سبحانه"[3].

[1] أحمد، مسند أحمد (35/ 472) برقم (21596)، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، سكت عنه الذهبي في التلخيص، ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 400).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنى، (1317/3) ح (1691).

[3] واحة التفسير (386/9 – 387) بتصرف.

وبالتالي يمكن إجمال منهج الشيخ في تناول مسألة النسخ فيما يأتي:

أولا: إيراد الروايات الصحيحة في موضع النسخ، والإشارة في الحاشية من خلال تخريجها من المصادر المعتمدة لذلك.

ثانيا: مع كونه من المثبتين للنسخ، إلا أنه لم يكن يعتمد إلا ما كان النص على النسخ فيه صريحا، وبالتالي كان قليل الخوض في المواضع التي جاء فيها النص غير صريح.

ثالثا: إذا ثبت أن في الموضع نسخ صريح يأخذ في مناقشة الأمر باستفاضة، ويفصل القول في طبيعة المسألة أو الحكم الذي وقع فيها النسخ.

المبحث الرابع: مشكل القرآن

إن أسباب وقوع الإشكال في فهم آيات القرآن الكريم متعددة؛ فقد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلا عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب [1]؛ وبالتالي يقع الإشكال في فهم العالم المجتهد أو غيره لا في القرآن نفسه.

وقد سلك الشيخ الطويل في تعامله مع مشكل القرآن سبيل السلف، وذلك من خلال ما يأتي:

1. دفع الإشكال عن آيات القرآن بالسنة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[البقرة: 187]، وقد أشكل على الناس فهم المراد من الخيط الأبيض والأسود في الآية، فقال: "ولم تكن الساعات التي تضبط الوقت موجودة في الأماكن العامة والخاصة، ولم يكن هناك وسائل للإعلام تقتل أوقات الناس، وتبدد طاقاتهم!! وتضيع أوقاتهم، ولم يكن هناك حساب فلكي علمي دقيق يبين أوقات الصلاة بالدقيقة والثانية؛ فأخذ بعض الناس بظاهر هذه الآية حين نزولها، وربما ربط بعضهم الخيط الأبيض والأسود في رجليه، وربما جعلهما تحت وسادته أو نحو ذلك؛ ليعلم بحاسة البصر طلوع الفجر الصادق، أخرج البخاري[2] عن سهل بن سعد الله قال: أنزلت﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ ولم ينزل

[1] ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تقي الدين (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (1425هـ – 2004 م)، (400/17).

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد}، حديث رقم: (4241)، (1693/4).

﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ وكان رجال إذا أرادوا الصوم، ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل حتى يتبين رؤيتهما، فأنزل الله قوله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ فعلموا أنما يعني الليل والنهار، أي: طلوع الفجر، وليس ظهور الخيط الأبيض من الأسود"[1].

2. ويجمع بين ما يوهم ظاهرة التعارض في الآيات كما في قوله تعالى:﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾[السجدة: 5] فيقول: "ويجمع بين آية سورة السجدة (ألف سنة) وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧ ﴾[الحج: 47]، وقوله:﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾[المعارج: 4]، بما يأتي:

أ. المراد بالألف التي في سورة (الحج) هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، وأما الألف التي في سورة (السجدة) فهي مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى. أما يوم الخمسين ألف في سورة المعارج) فهو يوم القيامة

ب. أو أن المراد بها جميعا يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر، ويدل له قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠ ﴾[المدثر: 9-10][2].

3. دفع الإشكال عن آيات القرآن بأقوال الصحابة، ومن أمثلة ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾[النازعات: 30]، حيث يقول: "قال رجل لابن عباس: آيتان في كتاب الله، تخالف إحداهما الأخرى؟ فقال: إنما أتيت من قبل رأيك، اقرأ. قال: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ ۝٩ ﴾ حتى بلغ ﴿ثُمَّ

[1] احمد الطويل، واحة التفسير (567/1).

[2] احمد الطويل، واحة التفسير (494/10).

ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ﴿١١﴾﴾[فصلت: 9-11]، وقوله:﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[النازعات: 30] قال ابن عباس: خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء، ثم خلق السماء، ثم دحى الأرض بعدما خلق السماء"[1].

ومن خلال هذه النماذج يمكن إجمال منهج الشيخ الطويل في مسألة مشكل القرآن من خلال النقاط الآتية:

أولا: يعمد لدفع الإشكال من خلال ما جاء في القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، أو ما قاله الصحابة رضوان الله عليهم، وبعد ذلك يأتي دور الاجتهاد.

ثانيا: يعرض للآراء المختلفة في الآية موضع الإشكال، ثم يرجح بينها مستخدما الأدلة العقلية بالإضافة على ما سبق.

ثالثا: يعتمد في كثير من ترجيحاته على ما أورده الإمام ابن قتيبة في مؤلفه القيم "تأويل مشكل القرآن".

ويؤكد على ذلك المنهج بشكل واضح من خلال تناوله لقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه: 5] فيقول: "ثم زاد في تصوير عظمة الله تعالى وسعة ملكه وسلطانه، فبين أنه ليس كمثله شيء، فمن هو الله سبحانه؟ هو الرحمن الذي ملك هذا الكون، وارتفع وعلا، واستوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته بلا كيف ولا انحصار ولا تشبيه ولا تحديد ولا تعطيل ولا تمثيل، قال مالك بن أنس لرجل سأله عن الاستواء: الاستواء، معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني، فأدبر السائل وهو يقول: يا أبا عبد الله، لقد سألت عنها أهل العراق وأهل الشام، فما وفق أحد توفيقك"[2،3].

---

[1] واحة التفسير (49/15).

[2] واحة التفسير (511/8).

[3] لم يثبت هذا القول عن الامام مالك، وانما الصحيح الذي رواه البيهقي في (الأسماء والصفات) عن عبد الله بن وهب وجاء فيه انه قال:"الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة، أخرجوه"، قال: فأخرج الرجل، وقد جوّد الحافظ ابن حجر في (الفتح) رواية ابن وهب.

المبحث الخامس: المحكم والمتشابه

المراد بالمحكم: هو الواضح البين الذي لا يلتبس أمره، وهو غالب القرآن، وأم الكتاب وأصله، وأما المتشابه: فهو الذي يشتبه أمره على بعض الناس، فيوفق الله العلماء لمعرفته، ومنه ما استأثر الله بعلمه، وأهل العلم الأثبات عادتهم يردون المتشابه إلى المحكم، وأهل الزيغ والضلال يتبعون ما تشابه منه، ويعارضون به المحكم بهدف التضليل والتحريف.

يقول الإمام ابن كثير: "يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس"[1].

وقد بين الشيخ الطويل منهجه في تناول المحكم والمتشابه في ثنايا تفسيره لقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾[آل عمران: 7].

ومعالم هذا المنهج كما يأتي:

أولا: الآيات المحكمات عنده هي تلك الآيات الواضحة الدلالة، وهي أصل الكتاب الذي يرجع إليه في معرفة الحلال والحرام، والأحكام، والقرآن كله محكم، بمعنى أنه حق كله وصدق كله، ويشبه بعضه بعضا في الحسن والحق والصدق والفصاحة والبلاغة والإعجاز، وبعضه يصدق بعض، ويطابقه لفظا ومعنى، وهذه

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، (ط2/1420هـ-1999م)، (6/2).

الآيات باب معرفتها والوقوف على حقيقتها مفتوح لمن وفقه الله لذلك عن طريق الاجتهاد والبحث والدراسة، وهو نفس المنهج الذي اتبعه الشيخ الطويل في بيان المحكم من آيات القرآن الكريم.

ثانيا: حمل ما يقع فيه التشابه على ما ليس فيه، فآيات القرآن منها الواضحة البينة لكل أحد، ومنها التي تشكل على بعض الناس، والواجب عند حدوث ذلك رد المتشابه إلى المحكم وحمله عليه، والخفي إلى الجلي، وبهذا يصدق بعضه بعضا، ولا يحصل تناقض ولا تعارض.

ثالثا: أن القرآن فيه المتشابه الذي لا حيلة لأحد في معرفة حقيقته، كالعلم بذات الله تعالى وصفاته، والعلم بقيام الساعة، فهذا مما استأثر الله بعلمه، ومنهجه في هذا الباب التفويض، ومن القرآن ما يدركه الراسخون في العلم، وقد تابع الشيخ في تناوله لمثل هذه الآيات مسلك التقليد لا الاجتهاد[1].

[1] ينظر: واحة التفسير (292/2).

الفصل الرابع

القضايا اللغوية والبلاغية في (واحة التفسير)

المبحث الأول: عنايته بالمفردة

يعد الاعتناء بالأصل الاشتقاقي للمفردة من المسائل المهمة للمفسرين؛ لحاجتهم الماسة إليها في دقة توجيه المعنى القرآني، ولا تكاد تخلو لفظة قرآنية من وجود أصل اشتقاقي، ومعرفة هذا الأصل تزيد المفسر عمقا في معرفة دلالة الألفاظ، ومعرفة مناسبة تفسيرات المفسرين لأصل هذا اللفظ ... فمعرفة أصل اشتقاق اللفظ يفيد في جمع عدد من المفردات القرآنية المتناثرة، وبتصريفات متعددة تحت معنى كلي واحد، وهذه المعرفة الجامعة تسوق إلى تفسير اللفظ في سياقه، بحيث يعبر عنه بما يناسبه في هذا السياق، ويعبر عنه بما يناسبه في السياق الآخر، وكلها ترجع إلى هذا المعنى الاشتقاقي الكلي[1].

ولهذا؛ جاءت تفسيرات السلف تزخر بالإشارة إلى مسألة الاشتقاق اللغوي؛ باعتبارها من الأهمية بمكان في الوقوف على المعنى المراد، ومن أئمة التفسير الذين اعتنوا بذلك شيخ المفسرين ابن جرير الطبري [2]، ومقاتل ابن سليمان[3]، وابن قتيبة[4].

وقد استفاد أئمة اللغة من هذا المنهج في تتبع المفردات؛ فأخرجوا لنا أعظم المصنفات، كابن فارس (ت1004م،395هـ) في تصنيف كتابه العظيم (مقاييس اللغة) مقتفيا بذلك ما كان قد طرحه ابن قتيبة (ت889م،0226هـ) في تأويل مشكل القرآن، كما عني الراغب الأصفهاني(ت 1108م،502هـ) بأصل الاشتقاق في مصنفه الماتع (مفردات ألفاظ القرآن)، وغيرهم كثير[5].

---

[1] مساعد الطيار، المفردة القرآنية؛ المراحل التي تمر بها حال تفسيرها، مركز تفسير للدراسات القرآنية، (ص 2 – 7) بتصرف.

[2] ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1420/1هـ–2000م)، (511/1). في بيان قوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها} [البقرة: 31]، حيث قال: "بعث رب العزة ملك الموت فأخذ من أديم الأرض؛ من عذبها ومالحها، فخلق منه آدم، ومن ثم سمي آدم؛ لأنه خلق من الأرض".

[3] ينظر: مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث –بيروت، (ط1423/1هـ)، (53/3). في بيان قوله تعالى: {ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون} [البقرة: 51]، قال: "إنما سمي العجل؛ لأنهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى"

[4] ينظر: الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ص: 442). في بيان قوله تعالى: {فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي} [يونس: 71]؛ أي: اعملوا ما أنتم عاملون ولا تنظرون.

[5] مساعد الطيار، المفردة القرآنية؛ المراحل التي تمر بها حال تفسيرها، (ص: 7).

وبالنظر لمنهج الشيخ احمد الطويل في تناول المفردات وأصلها الاشتقاقي؛ نجد أنه خط لنفسه منهجا عاما، وهو أنه لا يتعرض للمباحث اللغوية للمفردة القرآنية إلا إذا ترتب عليها مزيد بيان للمعنى من وجهة نظره، وغير ذلك لا يتعرض لها كثيرا، وربما لا يتعرض لها أصلا، ومن الأمثلة على ذلك في تفسيره:

1. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢﴾[الأنعام: 142]، ذكر أن الفرش المقصود به الإبل الصغيرة، فقال: "وخلق لكم الفرش، وهي الإبل الصغيرة، وفرشا، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: هي الغنم والبقر التي لا تحمل المتاع؛ لصغرها وقربها من الأرض، قال تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ ٦٦﴾[النحل: 66]، وبعضها تحملون عليه وتركبون، وبعضها لا تصلح للحمل ولا للركوب، وعلى هذا فالحمولة ما تركبون، والفرش ما تأكلون وما تحلبون من الإبل والبقر"[1]. وبالعودة إلى معاجم اللغة تبين أن الشيخ الطويل اعتمد في تفسيره لكلمة (فرش) على أصلها اللغوي، فالفريش من الخيل: التي أتى عليها من يوم وضعت سبعة أيام، وبلغت أن يضربها الفحل، وجارية فريش: افترشها الرجل، فعيل جاء من افتعل، والفرش من الشجر والحطب: الدق الصغار، يقال: ما بها إلا فرش من الشجر، والفرش من النعم: التي لا تصلح إلا للذبح، وهي ما دون الحمولة، قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ ١٤٢﴾[الأنعام: 142][2].

2. وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤﴾[الفرقان: 54]، بين معنى الصهر، فقال: "والصهر اسم لما بين الرجل وأقارب زوجه وأقاربه من العلاقة الأسرية، والمصاهرة تكون من الجهتين فصهر الرجل قرابة امرأته، وصهر المرأة قرابة زوجها، ولكنه يطلق في الأكثر على أقارب امرأة الرجل، أما أقارب الزوج بالنسبة للمرأة فيقال لهم: ختن، أو حم،

[1] واحة التفسير، (586/4).

[2] الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن البصري (ت 170هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (256/6).

وسمى ابن عباس الرضاع صهرا، وهم هؤلاء السبع، ومن قال: إن الصهر خمس، أسقط منه الجمع بين الأختين، والمحصنات ذوات الأزواج"[1].

وبالعودة لمعاجم اللغة نجد أن الصهر أصلها (صهر) الصاد والهاء والراء أصلان: أحدهما يدل على قربى، والآخر على إذابة شيء. فالأول الصهر، وهو الختن. قال الخليل: لا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان، ولا لأهل بيت المرأة إلا أصهار. ومن العرب من يجعلهم أصهارا كلهم. قال ابن الأعرابي: الإصهار: التحرم بجوار أو نسب أو تزوج [2].

3. وفي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾[لقمان: 19]، يفسر قوله (اقصد) بالتوسط والاعتدال، فيقول: "أي: ولا تضرب الأرض بقدمك فهي أصلب منك، وتوسط في مشيك بين الإسراع والتأني؛ فالإسراع من الخيلاء والعجلة والتأني من الضعف والوهن، وكلاهما مذموم، وكن في مشيك بين السكينة والوقار؛ لأن الإسراع يذهب ببهاء المؤمن، والبطء صفة المتناومين، وخير الأمور العدل والوسط، وليكن مشيك برفق؛ فعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا"[3].

وبالعودة لمعاجم اللغة نجد أنه اختار من معاني القصد ما يناسب السياق، فالقصد أحد معانيه التوسط والاعتدال، فالقصد: بين الإسراف والتقتير. يقال: فلان مقتصد في النفقة، وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾، واقصد بذرعك، أي أربع على نفسك. والقصد: العدل"[4].

4. وفي تفسيره لقول الله تعالى:﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾[الذاريات: 17]، ذكر أن الهجوع: هو قلة النوم ليلا، فقال: "والهجوع: هو النوم القليل ليلا، فهم ينامون قليلا من الليل، ويصلون أكثره، قال

[1] واحة التفسير، (595/9).
[2] الفراهيدي، العين (256/6).
[3] واحة التفسير، (462/10).
[4] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (315/3).

عبد الله بن سلام: "لما قدم رسول الله المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول ما سمعته يقول : "ياأيها الناس، أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام[1]"، وقال الحسن البصري: كان الأحنف بن قيس يقول: عرضت عملي على عمل أهل الجنة، فإذا قوم قد باينونا بؤنا بعيدا، وإذا قوم لا نبلغ أعمالهم، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وعرضت عملي على عمل أهل النار، فإذا قوم لا خير فيهم، يكذبون بكتاب الله، وبرسل الله يكذبون بالبعث بعد الموت، فوجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، واشترط بعضهم أن يكون التهجد بعد نوم ولو نوما خفيفا"[2].

وبالعودة إلى كتب اللغة نجد أن الهجوع أصله (هـ ج ع): هجع: الهجوع: النوم ليلا. هجع يهجع هجوعا: نام، وقيل نام بالليل خاصة، وقد يكون الهجوع بغير نوم؛ قال زهير بن أبي سلمى: (قفر هجعت بها ولست بنائم، ... وذراع ملقية الجران وسادي) وقوم هجع وهجوع، ونساء هجع وهجوع وهواجع، وهواجعات جمع الجمع. والتهجاع: النومة الخفيفة [3].

5. وعند تفسيره لقول الله تعالى:﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦﴾[النبأ: 6] يفسر المهاد بأنه الفراش الممهد للاستقرار عليه والتقلب فيه، فيقول: " قال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦﴾[النبأ: 6]: أي: ألم نجعل لكم –أيها الناس– الأرض التي تسكنونها فراشا وبساطا؛ لتستقر عليها الأقدام، للمشي في مناكبها، والتقلب في أنحائها والاستقرار على ظهرها، والأكل من رزقه تعالى والانتفاع بكنوزها وخيراتها، ولكي يسعى المرء ويتقلب فيها كما يتقلب الطفل في مهده، فالمهاد هو الفراش الممهد الموطأ للاستقرار عليه والتقلب فيه وجعلها صالحة للحرث والزرع والمساكن والطرق، وفي هذا امتنان من الله تعالى على خلقه وتذكير لهم بفضله عليهم؛ فالقادر على تذليل الأرض للناس قادر على إحيائهم بعد الموت"[4].

---

[1] ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، باب إطعام الطعام، حديث رقم: (3251)، (397/4)، قال أبو عيسى، هذا حديث صحيح، ينظر: سنن الترمذي (4/ 652).

[2] واحة التفسير، (18/13).

[3] ابن منظور، لسان العرب، (634/2).

[4] واحة التفسير، (11/15).

وعن أصل المهاد في اللغة يقول الأزهري: "والمهاد اسم أجمع من المهد، كالأرض جعلها الله مهادا للعباد، وجمع المهاد مهد وثلاثة أمهدة، وأصل المهد التوثير، يقال: مهدت لنفسي، ومهدت: أي جعلت مكانا وطيئا سهلا، ويقال: مهدت لنفسي خيرا: أي هيأته ووطأته. وقال أبو النجم: قلت: أصل المهد التوثير، ويقال للفراش: مهاد لوثارته"[1].

6. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾[النبأ: 9]، فيفسر السبات بناء على أصله اللغوي بأنه القطع، فيقول: "قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ أي: وجعلنا النوم قاطعا لأشغالكم، وراحة لأبدانكم، تتخلصون به من مشاق العمل في النهار، وذلك أنه بعد الاستدلال على البعث بخلق الناس، يأتي الاستدلال عليه بأحوالهم، ومنها أن النوم يقطع الحركة، ويقطع التصرف الأعمال، فينهي التعب ويزيله وبذلك تحصل الراحة والسكون للبدن، فالسبت هو القطع، ومنه أن اليهود ينقطعون عن العمل يوم السبت راحة لأبدانهم، وهذا النوم نعمة من الله تعالى لأخذ قسط من الراحة، يستطيع المرء بعدها أن يستأنف عمله"[2].

يقول الرازي: "س ب ت: (السبت) الراحة والدهر وحلق الرأس وضرب العنق ومنه يسمى يوم السبت لانقطاع الأيام عنده وجمعه (أسبت) و (سبوت)، و(السبت) أيضا قيام اليهود بأمر سبتها ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۝١٦٣﴾[الأعراف: 163] وباب الأربعة ضرب. و(أسبت) اليهودي دخل في السبت. و(السبات) النوم وأصله الراحة ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾[النبأ: 9]، وبابه نصر و(المسبوت) الميت والمغشي عليه"[3].

[1] الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط1، 2001م)، (127/6).

[2] واحة التفسير، (12/15).

[3] الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت –صيدا (ط 5، 1420هـ /1999م)، (ص: 140).

ومن خلال هذه الأمثلة؛ يمكن القول بأن منهج الشيخ الطويل في تناول المفردات القرآنية يظهر فيما يأتي:

أولا: إذا كان للمفردة عدة معان فإنه يتناول أصلها الاشتقاقي ليأخذ منه ما يناسب المعنى الإجمالي للمفردة في سياقها.

ثانيا: أنه يعتني بالمفردة القرآنية إذا كانت ستؤكد على المعنى الذي يريد الوصول إليه.

ثالثا: إذا كان تفسير المفردة يترتب عليه حكم شرعي فإنه يشير لأصل المفردة للتأكيد على هذه المسألة.

رابعا: أن الشيخ حينما يتناول المفردة القرآنية لا يشير إلى كونها حقيقية أم مجازية في هذا الموضع، وإنما يهتم أكثر بما يوظفه في خدمة المعنى الإجمالي.

خامسا: لاحظ الباحث أن الشيخ الطويل لا يشير إلى معاجم اللغة كثيرا في الهامش للتأكيد على الأصل الاشتقاقي للمفردة الذي يذكره.

المبحث الثاني: عنايته بالجملة

إن القرآن الكريم له منهجه البياني المعجز في ترتيب بنية جملته التعبيرية؛ بحيث نرى في بعضها بالنظر لمنهج النحويين تقديما وتأخيرا، ونرى في بعضها كذلك من خلال المنهج نفسه موافقة للترتيب الطبيعي، وكان ذلك أوضح في الجمل المتشابهة التركيب، المتوافقة اللفظ، المتميز بعضها عن بعض بتقديم كلمة هنا، وتأخير مثيلتها هناك، وكذلك فيما يتعلق بالجانب البلاغي؛ فقد بلغ القرآن الكريم الذروة فيما يتعلق باستخدام أفانين الكلام، من تشبيه، وضرب أمثال، وكناية، والالتفات، ... إلخ[1].

وبالنظر للمنهج العام الذي انتهجه الشيخ الطويل في تناول الجملة القرآنية نجد أنه يتعامل معها مثل المفردة القرآنية، لا يشير إلى موقع الجملة من الإعراب، أو إلى ما فيها من وجوه البلاغة إلا ما كان يخدم المعنى العام، ولا يتوسع في هذا الإطار، ومن الأمثلة على ذلك:

1. ففي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾[البقرة: 17]، نجده يشير إلى براعة المثال المذكور في الآية فيقول: "ثم ضرب سبحانه للمنافقين مثلين عظيمين يكشف عن حالهما غاية الكشف؛ ليتضح شأنهما مثلا ناريا ومثلا مائيا، وبالمثال يتضح المقال؛ أما المثل الأول فهو المثل الناري، هذا المثل يصف رجلا كان في ظلمة شديدة، وبرد قارس، فأوقد نارا ليستضيء ويستدفئ بها، فلما أضاءت هذه النار ما حولها؛ أبصر الرجل ورأى ما حوله فأمن على نفسه من المخاوف واستدفأ بها وقتا يسيرا من الزمن، فبينما هو كذلك وإذ بهذه النار تنطفئ، فذهب عنه النور وعاد إلى الظلمة، فهو لم ينتفع منها بشيء في الحقيقة، وهذا يشبه المنافق الذي يظهر إسلامه؛ ويظهرا الخير للناس كي ينتفع به في الدنيا في ظاهر الأمر؛ فيحقن دمه وماله بذلك، وينتفع انتفاعا مؤقتا لا يفيده في الآخرة. (مثلهم) أي مثل المنافقين الذين آمنوا ظاهرا برسالة محمد ولم يؤمنوا باطنا، ثم كفروا فصاروا يتخبطون في ظلمات ضلالهم كمثل الذى استوقد

[1] ينظر: إبراهيم عوض، تأملات في البيان القرآني: الجملة القرآنية، شبكة الألوكة، منشور بتاريخ: 2014/6/29م، 1435/9/2 هـ.

نارا في الصحراء في ليلة مظلمة (فلما أضاءت ما حوله) وانتفع بها بعض الوقت (ذهب الله بنورهم) انطفأت النار وأعتمت، ثم لم يلبثوا أن ذهب الله بنورهم، وأزاله عنهم (وتركهم في ظلمت لا يبصرون)، فهم لا يهتدون إلى طريق ولا مخرج، وهذه الظلمات التي تركوا فيها"[1].

2. وعند تفسيره للآية التي تليها: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾[البقرة: 18]، نجده يشير إلى مقتضيات التشبيه في الآية، فيقول: "والسبب في ذلك –تشبهه بالأصم والأبكم والأعمى– أن المنافق قد عطل سمعه وبصره ولسانه؛ فلم ينتفع بها ويستعملها فيما خلقت من أجله، فهم صم عن سماع الحق والخير والهدى، فكأنهم لا يسمعون، وبكم عن النطق بالحق، فكأنهم لا يتكلمون، وعمي عن رؤية الحق وإبصار نور الهداية، فكأنهم لا يبصرون، فهم لا يرجعون عن ضلالهم ونفاقهم ويعودون للإسلام، لأنهم تركوا الحق بعد ما عرفوه فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فهو أقرب رجوعا منهم"[2].

3. وكذلك الآية التي تليهما: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾[البقرة: 19]، يشرح المثل الذي ضربه الله لحيرة المنافقين، فيقول: "هذا المثل يصف حيرة المنافقين وقلقهم وخوفهم بمطر نزل من السماء بغزارة، على جماعة في صحراء موحشة، وهذا المطر فيه ظلمات ورعد وبرق، وظلمة السحاب وظلمة المطر، وفيه صوت يسمع من السحاب، وضوء يشاهد مع السحاب، فإذا ظهر البرق في تلك الظلمات، فإنه يترك وميضا من النور يمكن للمنافق أن يرى من في ضوئه وقتا يسيرا من الزمن، وإذا أظلم عليهم وقفوا، وبينما هم كذلك، وإذ بهذا البرق يتوقف فجأة، فينقطع هذا الضوء، ويصبح المرء حائرا مترددا بين ظلمات الجو، وقصف الرعد، ولمعان البرق والصواعق المحرقة، وهكذا حال المنافقين إذا سمعوا أوامر

[1] واحة التفسير (167/1).
[2] المصدر السابق (168/1).

القرآن ونواهيه ووعده ووعيده جعلوا أصابعهم في آذانهم وأعرضوا عنه، كما يضع من يسمع الرعد أصبعه في أذنيه خشية الموت، وطمعا في السلامة عنه"[1].

هذه الآيات الثلاث متعاضدة تظهر إلى حد كبير منهج الشيخ الطويل في التعامل مع الجمل القرآنية من الناحية البلاغية والبيانية، فالآية الأولى تتناول جانبا بلاغيا يتعلق بضرب الأمثال وأهميته في تقريب المعنى للتلقي، وكذلك الثالثة، وأما الآية الوسطى فإنها تتناول أهمية التشبيه في إثارة ذهن المتلقي لما يستتبعه التشبيه من محاولة لإيجاد الرابط بين المشبه والمشبه به.

يقول ابن عاشور: "والإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ؛ شبهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصم البكم العمي أي كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ هو اسم دال على جمع، فالمعنى كل واحد منهم كالأصم الأبكم الأعمى وليس المعنى على التوزيع، فلا يفهم أن بعضهم كالأصم وبعضهم كالأبكم وبعضهم كالأعمى، وليس هو من الاستعارة عند محققي أهل البيان"[2].

4. وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾[الأعراف: 40]، وقد ذكر أن شبه الجملة في قوله: ﴿فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ متعلقة بقوله: ﴿يَلِجَ﴾، وأشار في الوقت نفسه لتشبيه جملته الجملة القرآنية في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾، فقال: "وقد علق الله سبحانه دخول الكافر الجنة على أمر مستحيل؛ وهو دخول الجمل في ثقب الإبرة، وهو أضيق المنافذ والجمل أكبر الحيوانات جسما عند العرب؛ ودخوله في ثقب الإبرة أمر محال، فكان هذا نفيا لدخول الكافر الجنة على وجه التأبيد"[3].

---

[1] واحة التفسير، (168/1).

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس (1984 هـ)، (314/1).

[3] واحة التفسير، (79/5).

وقد أشار المفسرون الأوائل لهذه المعاني في الجملة الكريمة فقالوا: "وقوله ﴿فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ متعلقة بقوله: ﴿يَلِجَ﴾ ... والولوج: الدخول بشدة ولذلك يقال: هو الدخول في مضيق فهو أخص من الدخول. والوليجة: كل ما يعتمده الإنسان، والوليجة: الداخل في قوم ليس منهم، وهو تشبيه في غاية الحسن، وذلك أن الجمل أعظم حيوان عند العرب وأكبره جثة"[1].

ومن خلال الأمثلة السابقة يمكن القول بأن منهج الشيخ الطويل في تناول الجملة القرآنية يتميز بما يأتي:

أولا: الاهتمام الكبير بالصور والأساليب البلاغية الخاصة بفنون الكلام المختلفة، من ضرب الأمثال والتشبيه ونحوها.

ثانيا: أن عنايته فيما يتعلق ببنية الجملة التركيبي، والإشارة لإعراب الكلمات يكاد يكون نادرا، إلا إذا كان لذكره فائدة تتعلق بالمعنى من وجهة نظره.

ثالثا: أن الطابع الأدبي غلب عليه عند حديثه عن الصور البلاغية فصاغها بأسلوب مميز يجذب انتباه المتلقي.

[1] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، شهاب الدين (ت 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (319/5).

الفصل الخامس

القضايا العقدية في (واحة التفسير)

توطئة:

ظلت العقيدة الإسلامية في صورتها الأولى بعيدة عن كل خلاف، تتميز بالتأثير في سلوك الأفراد الذين تلقوها تلقيا مباشرا من صاحب الرسالة ﷺ، إلى أن نشب الخلاف بين أفراد الأمة، وكان أول خلاف عقائدي على يد الخوارج، وحينها بدأت ملامح التحول في التعامل مع العقيدة تظهر تدريجيا، وبدأ انتقال العقيدة من طور الانتماء العام إلى طور الانتماء الخاص، ومن طور التقرير المجمل إلى طور التقرير الجدلي، ومن طور التلقي النصي التسليمي المباشر لمباني الإسلام وأصول الإيمان، إلى نسق فكري يظهر أحيانا في الدرس العقائدي وتقريراته عند حملة المذاهب والفرق والملل والنحل، ويستتر في علوم أخرى؛ ليعمل في الخفاء فتجد بذوره وآثاره في مدونات الأصول واللغة والتفسير كلما لاحت مناسبة أو عرضت إشكالية[1].

وقد ألقت هذا التحولات بظلالها على التعامل مع النص القرآني، وأصبحت كل طائفة من الطوائف تحاول أن تجد لها في هذا النص منزعا استدلاليا تتوصل من خلاله إلى تأسيس مشروعية مقولاتها العقائدية، فتجعل خصمها منازعا للقرآن وهي الموافقة له، وإذا تم تفكيك هذه الاستدلالات العقائدية عند مختلف الطوائف، سنجد أنها مؤلفة من ثلاث مكونات رئيسية:

المكون الأول: الدليل، وهو النص الذي يقصده المفسر لاستنباط المسألة العقائدية منه.

المكون الثاني: المدلول، وهو المسألة العقائدية التي يتبناها المفسر قبل مباشرته للتفسير.

المكون الثالث: الاستدلال، وهو عملية الربط التي أجراها المفسر بين الدليل والمدلول، من أجل أن يستنبط من الآية ما يؤكد صحة مقولاته[2].

---

[1] ينظر: ياسر المطرفي، العقائدية وتفسير النص القرآني، المناهج والدوافع والإشكاليات والمدونات.. دراسة مقارنة، مركز نماء للبحوث والدراسات (1437 هـ /2016)، (ص: 10 – 15).

[2] المصدر السابق، (ص: 35).

على هذا النمط ظهرت تفاسير كثيرة تهتم بطرح المسائل العقدية لصاحب كل تفسير؛ وكأمثلة على ذلك: نجد البغوي وابن كثير يميلان للإثبات والتفويض لعامة مسائل العقيدة، ونجد الرازي كممثل للأشاعرة، والماتريدي كممثل لفرقته يميلان أكثر للإثبات في تناول الآيات المتعلقة بهذه المسائل، ونجد كذلك الزمخشري والقاضي عبدالجبار يميلان للنفي في كثير من مسائل العقيدة وصرفها عن ظاهرها بالكلية، ونجد كذلك مفسري الشيعة يدخلون مسألة الإمامة باعتبارها جزءا رئيسيا في تناول آيات العقيدة كما فعل الطبرسي وغيره؛ على أن تتبع جميع المسائل المتعلقة بالغيبيات والعقيدة في التفاسير المختلفة أمر عسير، ويكفي هنا في محاولتنا إبراز منهج الشيخ الطويل في تناوله لهذه المسائل التركيز على مسائل ثلاث، وهي:

المبحث الأول: الأسماء والصفات

برز تناول آيات الأسماء والصفات كموضوع رئيسي عند كثير من المفسرين، ولكل وجهة هو موليها على النحو السابق ذكره، وهدى الله فيها طائفة وهم السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، حيث يعتقدون أن لله ﷻ أسماء حسنى وصفات عليا، ويؤمنون بأن لها معاني حقيقية تليق بجلال الله العظيم وتفرده، وأن صفاته لها كيف لا نعلمه، ويثبتون ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له النبي ﷺ من أسماء وصفات من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، وأنه سبحانه كما أخبر عن نفسه:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى: 11]، وهذه الآية تشتمل على إثبات الصفات لله جل وعلا، ونفي المشابهة والمماثلة للخلق.

ومن هذا المنطلق أخذ الشيخ الطويل في تناول آيات الأسماء والصفات، يثبتها كما أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له النبي ﷺ، ثم يفوض حقيقتها إلى الله، ومن الأمثلة على ذلك:

1. في معرض حديثه عن مقاصد سورة الفاتحة نجده يؤصل لمنهجه في تناول آيات العقيدة فيقول: "والفاتحة متضمنة لمجمل ما فصل في القرآن الكريم:

- فالإشارة إلى توحيد الألوهية جاءت في اسم الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ من ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ و﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾.
- والإشارة إلى توحيد الربوبية جاءت في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.
- والإشارة إلى توحيد الأسماء والصفات وجميع صفات الجلال والكمال جاءت في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ولفظ (الحمد).

والإشارة إلى اليوم الآخر، وما فيه من عدل وفضل وما فيه من بعث وحشر ونشر، وحساب وجزاء، جاءت في قوله تعالى:﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾[الفاتحة: 1][1].

[1] واحة التفسير (31/1).

2. قال تعالى:﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾[الفاتحة: 1] يقول الشيخ الطويل في إثبات صفتي (الرحمن الرحيم) ونافيا المماثلة والشبيه: "(الرحمن الرحيم) صفتان لموصوف واحد هو الله سبحانه، بخلاف الأب والابن والروح القدس، فكل من الثلاثة عندهم علم على ذات مستقلة عن الأخرى: الله، وعيسى، وجبريل، أو مريم، والله سبحانه هو ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها ونعم الله كلها أثر من آثار رحمته"[1].

هذان المثالان فيهما إشارة من الشيخ لبيان منهجه في مسائل العقيدة ككل، ومسألة الأسماء والصفات على وجه الخصوص، وهو اتباع منهج السلف بالإثبات المصحوب بالتفويض، وبخاصة في المثال الثاني الذي يعرض فيه الشيخ بعقيدة التثليث عند النصارى، ويؤكد أن صفتي (الرحمن الرحيم) صفتان لموصوف واحد، وليس فيها أي تشبيه ولا تكييف أو مماثلة كما يقولون في عيسى عليه السلام، وعند الغوص في الأمثلة سنجد ما يؤكد على هذا.

3. وعند حديثه عن الآية الحاكمة لباب الأسماء والصفات وهي قوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورى: 11] نجده يقول: "وخالق الإنسان والحيوان القادر على كل شيء، لا يماثله شيء في تدبيره وإنعامه، ولا يشبهه شيء في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، لا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولا يشبه به أحد، إنه سبحانه ذات، غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من الصفات، وهو السميع لأقوال العباد، العليم بأفعالهم. فهو سبحانه منزه عن مشابهة خلقه في الذات، والصفات، والأفعال، والأسماء.

[1] واحة التفسير (43/1).

فأسماؤه كلها حسنى وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك ولا منازع، فليس كمثله شيء لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء من أقوال خلقه وأعمالهم، وسيجازيهم على ما كسبت أيديهم، ذلكم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ أي: ليس يشبه ذاته شيء. فقد أثبت الله تعالى لذاته مثلا، ثم نفى عن ذلك المثل أن يكون له مماثل، ونفي المثل ينفي المثل، أي: ليس شيء مثل مثله، ونفي المماثلة تبطل ما نسبوه لله تعالى من اتخاذ البنات، فنفت الآية أن يكون شيء من الموجودات مماثلا لله تعالى [1]".

ويضيف: "وهذه الآية أصل في تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث، ونفي المماثلة لا ينفي أن الله تعالى متصف بصفات الكمال المعنوية كالعلم والحياة والسمع والبصر، ولكنها لا تشبه صفات المخلوقات، فهي تثبت الصفات وتنفي مشابهة المخلوقات، وترد على المشبهة والمعطلة. فالله تعالى لا يشبه شيئا من مخلوقاته، ولا يشبه به أحد، فلا تشابه بين الخالق والمخلوق، إذ إن صفات المخلوق لا تنفك عن الأعراض والأغراض، والله تعالى منزه عن ذلك، فليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، وقد أثبت الله تعالى لنفسه في آخر الآية صفتي السمع والبصر؛ لئلا يتوهم أن الله تعالى منزه عن الاتصاف بما اتصفت به المخلوقات من صفات الكمال المعنوية، ولكن صفات المخلوقات عارضة، وهي صفات واجبة لله تعالى، وهو السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات وتفنن الحاجات، وهو البصير، يرى النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة وسريان الماء في الأغصان الدقيقة"[2].

4. وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[الأعلى: 1]، يقول: "والمعنى: نزه ربك عن كل ما لا يليق به في ذاته، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه:

- أما في ذاته: فأن تعتقد أن ذات الله تعالى ليست من الجواهر ولا من الأعراض.

[1] واحة التفسير، (94/12).

[2] المصدر السابق، (95/12).

- وأما في صفاته: فأن تعتقد أن ذات الله تعالى ليست محدثة، ولا متناهية، ولا متناقضة.
- وأما في أفعاله فأن تعتقد أنه سبحانه مطلق الإرادة، لا اعتراض لأحد عليه في أمر من الأمور.
- وأما في أسمائه: فأن لا تذكره – سبحانه – إلا بالأسماء التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه.
- وأما في أحكامه: فأن تعلم أنه جل شأنه ما كلفنا لنفع يعود عليه ... والمراد بالاسم في قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) جميع الأسماء الدالة على الله تعالى من الأعلام والصفات، هذا هو الاسم"[1].

ومن خلال هذه الأمثلة يمكن القول بأن الشيخ الطويل قد اتخذ منهجا واضحا في تناول آيات الأسماء والصفات يقوم على ما يأتي:

أ- القول بإثبات جميع الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه في القرآن الكريم أو أثبتها له رسول الله ﷺ في السنة النبوية المشرفة.

ب-تفويض حقيقة الأسماء والصفات لله تعالى؛ إذ أن عدم المماثلة عنده تعني أن هذه الأسماء والصفات وإن كانت ثابتة لله تعالى، إلا أن حقيقتها تخفى على كل مخلوق لعدم إطلاع الله جل وعلا أحدا من خلقه على حقيقة ذاته وأسماءه وصفاته.

ج- التعريض بالمشبهة والمعطلة والمؤولين من الفرق الأخرى الذين تعرضوا لآيات الأسماء والصفات.

[1] واحة التفسير، (213/15).

المبحث الثاني: القضاء والقدر

إن الإيمان بالقضاء يعني التصديق الجازم والاعتقاد الراسخ بأن كل ما يقع في الكون هو من تقدير الله تبارك وتعالى، والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا به، هو الركن السادس من بين أركان الإيمان[1].

وقد ذكر لابن عمر ﷺ أناس يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، فقال: "فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر؛ لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"[2].

والإيمان بالقدر لا يصح من العبد حتى يؤمن بمراتب أربع:

أولها: الإيمان بأن الله تبارك وتعالى علم كل شيء من الأزل والقدم، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أدني من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

ثانيها: الإيمان بأن الله كتب كل شيء سيكون في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرضين.

ثالثها: الإيمان بأن مشيئة الله نافذة، وقدرته شاملة، فلا يكون في الكون شيء من الشر أو الخير إلا بمشيئته ورهن إرادته سبحانه.

رابعها: الإيمان بأن كل الكائنات من خلق الله، بما في ذلك صفاتهم وأفعالهم[3].

وبعد هذه المقدمة الموجزة يمكن القول بأن الشيخ الطويل قد اتخذ لنفسه منهجا في تناول آيات القضاء والقدر على نفس طريقة ومنهج السلف، ويتضح ذلك أكثر من خلال الأمثلة الآتي ذكرها:

1. عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: 49]. يقول: "وقد فعل الله بالكافرين ما فعل؛ وفق تقديره تعالى السابق في الأزل، حسبما اقتضته الحكمة الإلهية، وكل شيء يحدث في

[1] ينظر: حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية (ط 2، 1422هـ)، ص 78.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله عز وجل، (36/1)، ح رقم (8).

[3] ينظر: حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص 78 – 80.

الكون سواء أكان خيرا أم شرا فهو مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ وفق علم الله تعالى الكاشف عما كان وما سيكون. (إنا كل شيء) من جميع العوالم العلوية والسفلية خلقناه بمقدار قدرناه وقضيناه، وسبق علمنا به، لا خالق له سواه، ولا مشارك له في خلقه وقد سبق به القدر، وجرى به القلم. قال ابن عطية: وهذا المعنى يقتضي أن كل شيء، مخلوق إلا ما قام دليل العقل على أنه ليس بمخلوق كالقرآن والصفات. وخلق الله تعالى للأشياء مصاحب لقوانين جارية على مقتضى حكمته كما قال تعالى:﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾[الرعد: 8]، وقال تعالى:﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾[الحجر: 21]، وقال سبحانه:﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[الفرقان:2]"[1] .

ويضيف: "وهكذا نجد أن الآيات المتعلقة بالخلق يعقبها ذكر الساعة وذكر يوم الجزاء؛ لبيان الحكمة من خلق الخلق، وهو الثواب والعقاب في الآخرة على ما قدموه في الدنيا، وبيان أن الله تعالى قد خلق كل شيء بقدر، وليس لمجرد الإعلام بذلك، وإنما هو لبيان الحكمة والعلم المسبق بذلك، فالله تعالى خالق أصول الأشياء، وخالق أسبابها، وموجد القوة فيها، وهذا معنى الحديث الشريف[2] "وتؤمن بالقدر خيره وشره"[3].

2. وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[الأعلى: 3]، يقول: "وضع الله سبحانه لكل مخلوق وظيفة وغاية، ووضع له نظاما لا يعدوه، وهدى كل مخلوق إلى ما خلق من أجله، وألهمه إلى ما يصلح بقاءه وحياته، فقدر له رزقه وهداه لاكتسابه وقدر له عمله وهداه لاكتسابه، وقدر له السعادة والشقاء، وهداه لاكتسابهما، فالتقدير من لوازم الخلق وهكذا هدى الله الإنسان لوجه الانتفاع بما أودعه فيه من ملكات كما هداه لاستخراج الأدوية والعقاقير النافعة من النباتات، وهداه إلى استخدام الحديد في صنع المدافع والطائرات، وهكذا قدر الله تعالى أجناس الأشياء وأنواعها، وهدى كل مخلوق إلى ما يصدر عنه، ويسره لما خلقه له، فهذه هداية عامة لجميع المخلوقات، ومن ذلك هداية الأنعام إلى مراعيها"[4].

---

[1] واحة التفسير، (187/13 – 188).

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (36/1)، حديث رقم: (ص: 8).

[3] واحة التفسير (189/13).

[4] واحة التفسير (216/15).

ومن هذين المثالين يمكن القول بأن الشيخ الطويل قد اختط لنفسه منهجا عاما في تفسير الآيات التي تناولت مسألة القضاء والقدر يمكن إجماله:

أ- الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه عالم بكل شيء، وهو سبحانه لا يغيب عنه شيء في السماء أو الأرض.

ب- اليقين الراسخ بأن الله تعالى كتب كل شيء كان أو كائن أو سيكون في اللوح المحفوظ.

ج- الإيمان بنفاذ المشيئة الإلهية، فلا يكون شيء في الكون إلا بمشيئته وإرادته سبحانه.

3. وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق: 3] يقول: "فإذا أخذ العبد بالأسباب وتحقق له أن الأمور بيد الله، لا يعجزه شيء، ولم يعول على ما سواه، فإنه يبلغ ما يريد، ويصل إلى مبتغاه (إن الله بالغ أمره) فأمره نافذ في خلقه، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، وكل شيء في هذا الكون له أجل ينتهي إليه، وله قدر لا يتجاوزه، (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي: مقدارا معلوما، ووقتا محددا لا يزاد عليه ولا ينتقص منه وفق الحكمة الإلهية، ومن ذلك الشدة والرخاء، والصحة والمرض، والفقر والغنى.."[1].

فيبين الشيخ ويوضح أن علم الله سبحانه يشمل كل شيء وأن المولى عز وجل لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، وإن القدرة الإلهية والمشيئة الربانية هي التي جعلت لكل شيء قدرا من الشدة والرخاء والصحة والمرض والفقر والغنى، ومذهب الشيخ في هذا هو التأكيد على الركن السادس من أركان الإيمان ألاوهو القضاء والقدر وإخلاص النفس في ذلك لله عز وجل.

[1] المصدر السابق (130/14).

المبحث الثالث: الاستواء والرؤية

سلك السلف مع تفسير الآيات المتعلقة بصفتي الاستواء والرؤية منهجا يقوم على الإثبات والتفويض كبقية الأسماء والصفات؛ فالاستواء عندهم معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وبالتالي فإن إثبات الصفات من غير تأويل هو مذهب عامة السلف، وتفويض الكيف لله هو منهجهم بعد ذلك، ثم هم يكرهون الخوض في آيات الصفات بشكل يشكك الناس في أمر دينهم من غير حاجة [1].

وكذا الكلام عن الرؤية لله تعالى، وقد قال النبي ﷺ حينما سئل عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"[2].

وقد سلك الشيخ الطويل مسلك السلف في هاتين المسألتين، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

1. فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: 5] يقول: "ثم زاد في تصوير عظمة الله تعالى وسعة ملكه وسلطانه، فبين أنه ليس كمثله شيء، فمن هو الله سبحانه؟ هو الرحمن الذي ملك هذا الكون وارتفع وعلا، واستوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته بلا كيف ولا انحصار ولا تشبيه ولا تحديد، ولا تعطيل ولا تمثيل، قال مالك بن أنس لرجل سأله عن الاستواء: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني، فأدبر السائل وهو يقول: يا أبا عبد الله، لقد سألت عنها أهل العراق وأهل الشام، فما وفق أحد توفيقك، وقد ذكر العرش في القرآن في إحدى وعشرين آية، والله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورى: 11]، فاستواؤه تعالى على العرش ليس له كيف ولا انحصار، وليس له شبه ولا نظير، وكيفية الاستواء أمر غيبي لا يعلمه إلا الله سبحانه"[3].

---

[1] ينظر: ابن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل، تحقيق: محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر، (ص: 48).

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث رقم: (8)، (36/1).

[3] واحة التفسير، (511/8).

2. وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾[الفرقان: 59] يقول:﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ أي؛ علا وارتفع على عرشه، وهو سقف المخلوقات وأعلاها وأوسعها، استواء يليق بجلاله بلا كيف، ولا تشبيه ولا تمثيل، والاستواء على العرش معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه فوق العقول"[1].

في هذين المثالين يتضح جليا الخط العام الذي انتهجه الشيخ الطويل مع الآيات المتعلقة بمسألة الاستواء، وهو الخط العام نفسه لمنهج السلف في الإثبات وتفويض حقيقة الأمر لله تعالى بلا دخول في جدال في الأسئلة المتعلقة بالكيف.

3. وأما منهجه فيما يتعلق برؤية العباد لله سبحانه فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: 103]، "وهو سبحانه محيط بمخلوقاته، يعلمها ويراها، ويعلم حقيقتها، ولكن عقول العباد لا تحيط بربهم جل شأنه، ولا يعرفون كنهه وحقيقته سبحانه، ولا تحيط أبصارهم بالله جل شأنه ولا (تدركه الأبصار) لعظمته وجلاله وكماله، بمعنى: لا تحيط به ولا تراه الأبصار في الدنيا، ولا تدرك كنهه وحقيقته (وهو يدرك الأبصار) يحيط بها؛ لشمول علمه لكل ما خفي أو ظهر، وكل ما ظهر وما بطن، (وهو اللطيف) بأوليائه الرؤوف بهم الخبير بدقائق الأمور وغوامضها، ومما عليه أهل السنة أن عدم الإدراك لا ينافي الرؤية، فالإدراك يكون بالعقل، والرؤية تكون بالبصر، وعقول الناس محدودة، وأبصارهم محدودة، فعقولهم وأبصارهم لا تدرك الخالق جل شأنه، وهو سبحانه يدرك عقول المخلوقات وأبصارهم ويراهم ويحيط بهم، وأهل السنة على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، ولكنهم لا يحيطون به، فهم يرونه رؤية ثابتة عند جمهور أهل العلم"[2].

[1] واحة التفسير، (598/9).
[2] واحة التفسير، (18/4).

ويضيف: "والرؤية هي المعاينة للشيء من غير إحاطة به وهذا عن طريق البصر، والإحاطة تكون بالشيء المحدود معلوم الجهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة، وقد نفت عائشة حصول الرؤية في الدنيا، وخالفها ابن عباس في ذلك، فلا فرق عنده بين الإدراك والرؤية، فالحاصل أن رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين أمر ثابت، تواترت به الآيات والأحاديث في الصحاح والمسانيد والسنن، أما الرؤية في الدنيا فهي غير ممكنة الحدوث، فلم تحدث لموسى في طور سيناء، ولم تحدث لمحمد ليلة المعراج، كما عليه جمهور أهل العلم، وبه قال ابن مسعود، وعائشة، وأبو هريرة، أخذا من عموم الآية التي معنا، والرؤية في كل هذا تكون من غير إحاطة، ولا حدود"[1].

ومن خلال هذه النماذج يمكن القول: إن منهج الشيخ الطويل فيما يتعلق بتفسير آيات صفتي الاستواء والرؤية هو ذاته المنهج الذي اتبعه في باب الأسماء والصفات؛ إثبات وتفويض، دون الخوض في الكيفية، أو الدخول في دهاليز علم الكلام الذي وقع فيه بعض المفسرين قديما وحديثا.

ومذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته أنهم يؤمنون بها، ويثبتونها كما جاءت في القرآن والسنة، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهذا ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن سلك سبيلهم، يؤمنون بأسماء الله وصفاته الواردة في القرآن الكريم أو في السنة الصحيحة، ويثبتونها لله على وجه لائق بالله، من غير تحريف لها، ومن غير تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يعني لا يحرفونها ويغيرونها، ولا يعطلونها كما تفعل الجهمية والمعتزلة[2].

[1] واحة التفسير (520/4).

[2] ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (ت 1420 هـ)، فتاوى نور على الدرب، جمع محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – إدارة مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، (ط1، 1441هـ)، (119/1).

الفصل السادس

القضايا الفقهية في (واحة التفسير)

توطئة:

يعتبر التشريع من أسمى وأهم المقاصد التي نزل من أجلها القرآن الكريم؛ لأجل هذا أجمعت الأمة على اعتماد القرآن الكريم مصدرا رئيساً للتشريع، وكان إلى جانب السنة النبوية المشرفة مركز الثقل الذي تدور عليه أحكام الشريعة الإسلامية، والنبع الذي أخذت منه هذه الأمة أصولها وفروعها، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ۝٩﴾[الإسراء: 9].

يقول الإمام الشاطبي بعد أن ساق جملة من الآيات أن: "القرآن فيه بيان كل شيء؛ فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة، ولا يعوزه منها شيء، والدليل على ذلك أنه يهدي للتي هي أقوم، أي: الطريقة المستقيمة، ولو لم يكمل فيه جميع معاني الشريعة؛ لما صح إطلاق هذا المعنى عليه حقيقة، وأشباه ذلك من الآيات الدالة على أنه هدى وشفاء لما في الصدور، ولا يكون شفاء لجميع ما في الصدور إلا وفيه تبيان كل شيء"[1].

والأحكام في القرآن الكريم تنقسم إلى ثلاثة أنواع، تمثل الأحكام الفقهية واحدا منها، أما الثلاثة على التفصيل، فهي:

أولا: الأحكام الاعتقادية: وهي التي تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجملة مسائل الاعتقاد.

ثانيا: الأحكام الخلقية: وهي التي تتعلق بما يجب على المكلف التحلي به من الفضائل، وما يجب عليه أن يتخلى عنه من الرذائل.

[1] الشاطبي، الموافقات (184/4).

ثالثا: الأحكام العملية: وهي التي تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات، وهو الذي اهتم به المفسرون ضمن ما عرف بالتفسير الفقهي، وهو يتضمن نوعين أساسيين؛ الأول: أحكام العبادات: من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذر ويمين، ونحو ذلك من العبادات التي يقصد بها تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه، الثاني: أحكام المعاملات، من عقود وتصرفات وعقوبات وجنايات وغيرها، مما يقصد به تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض، سواء كانوا أفرادا أم جماعات [1].

وفي هذا الفصل سيتناول الباحث منهج الشيخ الطويل في الآيات المتعلقة بالمسائل والأحكام الفقهية، وذلك في مبحثين:

المبحث الأول: مسائل العبادات.

المبحث الثاني: مسائل المعاملات.

[1] ينظر: مولاي، عمر بن حماد، التفسير الفقهي؛ النشأة والخصائص، مركز تفسير للدراسات القرآنية، (ص: 4 – 5).

المبحث الأول: مسائل العبادات

المقصود بفقه العبادات: هي المسائل والأحكام التي تنظم علاقة الإنسان بربه، كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وغيرها، وهو ما تناوله الشيخ الطويل من خلال منهج يتضح من خلال النماذج الآتية:

1. فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾[النساء: 101] عنون لهذه الآية بقوله: "قصر الصلاة في السفر" ثم شرع ببيان الأحكام المتعلقة بالقصر، وبيان مذاهب الفقهاء فيها؛ فقال:﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿١٠١﴾﴾ أي؛ إذا سافرتم للجهاد، أو للحج، أو لطلب العلم، أو للعلاج، أو لغير ذلك من أسفار الطاعة والأسفار المباحة، فليس عليكم حرج أن تقصروا الصلاة الرباعية إلى ركعتين، فلا قصر للصلاة في سفر المعصية، كالباغي وقاطع الطريق وأصحاب الشهوات، وذلك عند جمهور العلماء، ومنهم الأئمة الثلاثة : المالكي، والشافعي والحنبلي، خلافا لأبي حنيفة، فقد قال: إن ظاهر الآية يفيد الرخصة للمسافر في قصر الصلاة ولو كان سفره سفر معصية"[1].

ويضيف: "ونفى الحرج والإثم عن قاصر الصلاة في السفر والخوف لا ينافي كون القصر أفضل، ويدل على ذلك أمران؛ أحدهما: ملازمة النبي لقصر الصلاة الرباعية في جميع أسفاره، وثانيهما: أن القصر من باب الرخصة والرحمة بالعباد والله تعالى يحب أن تؤتي رخصه كما يكره أن تؤتي معصيته، وفي قوله تعالى: ﴿من ٱلصلوٰة﴾ دون أن تقصروا الصلاة يفيد أن هذا القصر محدد منضبط، يرجع فيه إلى فعل النبي، ولفظ (من) يفيد التبعيض، وأنه خاص بالصلاة الرباعية. وهذا القصر في الصلاة ذكر المفسرون له معنيين؛ الأول: قصر الصلاة الرباعية بحيث تصلى ثنتين ... وليس هذا قيدا ولا شرطا عند جمهور أهل العلم، ولكن نظرا لأن الخوف كان هو الغالب في السفر حال نزول الآية، فقد كانت أغلب الأسفار مخوفة، وما خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ... وعلى هذا، فإن المراد به قصر العدد والصفة معا، واجتماع السفر والخوف

[1] واحة التفسير، (343/3).

معا، أقصى ما يتصور من المشقة المناسبة للقصر، فإذا وجد السفر والخوف معا، جاز قصر العدد وقصر الصفة معا، وإذا وجد السفر وحده، جاز قصر العدد فقط، وإذا وجد الخوف وحده جاز قصر الصفة فقط كما بينه في الآية (102) التالية"[1].

يتضح من خلال هذا المثال أن الشيخ الطويل يستطرد في المسائل الفقهية كثيرا، فقد حازت هذه الآية وحدها، ومن خلال حديثه عن الأحكام الفقهية المتعلقة بقصر الصلاة على قرابة أحد عشر صفحة، تناول فيها أقوال الفقهاء وأدلتهم، بداية بحكم قصر الصلاة حال السفر والخوف، ومرورا بالأحاديث الدالة على مشروعية القصر والترخص فيه، وهل الخوف شرط في قصر الصلاة، ومسافة القصر، ومدته، ثم عرّج على الجمع بين صلاتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، ثم الجمع بسبب المطر، والجمع بغير سبب، وحكم صلاة المغرب خلف من يصلي العشاء، وهو في كل ذلك لا يتعصب لمذهب بعينه، وإنما يرجح عادة ما يرجحه جمهور الفقهاء[2].

ويتبع ذلك كله ببيان المعنى الإجمالي للآية فيقول: "ومجمل معنى الآية: وإذا سافرتم أيها المؤمنون في أرض الله، برا أو بحرا أو جوا، فلا حرج عليكم، ولا إثم في قصر الصلاة الرباعية إن خفتم من عدوان الكفار عليكم بما تكرهونه من قتال وغيره حال صلاتكم، وكان غالب أسفار المسلمين في بدء الإسلام مخوفة، والقصر رخصة في السفر حال الأمن أو الخوف، وإن كان الكافرون مجاهرين لكم بعداوتهم فاحذروهم، حيث لا يمنعهم اشتغالكم بالصلاة أن ينقضوا عليكم، ويقتلوكم"[3].

2. وعند تفسيره للآية التي تليها مباشرة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ

[1] واحة التفسير، (343/3).
[2] ينظر: المصدر السابق، (343/3 – 355).
[3] المصدر السابق (355/3).

لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢﴾[النساء: 102] نجد نفس المنهج الذي اتبعه الشيخ في المسائل الفقهية في باب العبادات، حيث استطرد كثيرا في ذكر الأحكام المتعلقة بصفة صلاة الخوف، وتناولها في قرابة سبع صفحات؛ فتكلم عن كيفية صلاة الخوف، ومتى شرعت، واختلاف صفة صلاة الخوف المأخوذة عن النبي لتعدد الوقائع ... إلخ. [1]

ثم يذكر المعنى الإجمالي للآية كالمعتاد فيقول: "ومعنى الآية بإجمال: وإذا كنت يا محمد في ساحة القتال مع أصحابك، فأردت أن تصلي بهم جماعة، فلتقم جماعة معك للصلاة، وليأخذوا معهم سلاحهم؛ استعدادا للقاء العدو لو بغى عليهم، فإذا سجد هؤلاء الرجال الذين قاموا معك للصلاة فلتكن الجماعة الأخرى من خلفكم في مواجهة عدوكم؛ لحماية ظهوركم، وليكونوا في مقابلة عدوكم للحراسة، وتتم الجماعة الأولى ركعتهم الثانية بدونك ويسلمون، ثم تأتي الجماعة الأخرى التي لم تبدأ الصلاة فليأتموا بك في ركعتهم الأولى، ثم يكملوا بأنفسهم ركعتهم الثانية، ثم تسلم بهم، وليحذروا من عدوهم وهم في صلاتهم، وليأخذوا أسلحتهم ... ويؤخذ من الآية أهمية صلاة الجماعة ووجوبها؛ لأن الله تعالى شرعها في حالات: الخوف والمرض والمطر، وتجوز فيها عن الطمأنينة، وأسقط منها ركعة عن الخائف من العدو، فهي في حالة الأمن والصحة وعدم نزول المطر من باب أولى"[2].

3. ولعل من أبرز الأمثلة على منهج الاستطراد في الحديث عن المسائل الفقهية عند الشيخ الطويل في تفسيره، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ولا تبٰشروهن وأنتمۡ عٰكفون في ٱلۡمسٰجدِۗ تلۡك حدود ٱلله فلا

[1] ينظر: واحة التفسير (3/355 – 362).

[2] المصدر السابق (3/362).

تقْربوها كذٰلك يبين ٱلله ءايٰته للناس لعلهمْ يتقون﴾[البقرة: 187]؛ فقد عنون للآية بقوله: "الحكم التشريعي الخامس: أحكام الاعتكاف" هكذا بهذه الطريقة، وكأننا أمام كتاب يعتني بعلم الفقه، وقد أطال الكلام عن المسائل الفقهية التي تناولت الاعتكاف بدءا بتعريف الاعتكاف، ومرورا بحكمة مشروعيته وأدلته، وحكمه، ووقت الاعتكاف، وشروط الاعتكاف، وحكم اعتكاف المرأة، واشتراط المدة، ومتى يبدأ الاعتكاف، ومتى ينتهي، وقضاء الاعتكاف، ثم عرج على أدلة مشروعية الاعتكاف وذكر جانبا كبيرا منها، وما يباح للمعتكف وما يكره، ومبطلات الاعتكاف، كل ذلك في قرابة سبع صفحات[1].

4. وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ ﴿١٩٦﴾﴾[البقرة: 196] نجده يسترسل بشكل كبير بذكر كل ما يخص فريضة الحج والمسائل الفقهية المتعلقة به، فيتكلم عن فرضية الحج باعتباره ركنا من أركان الإسلام، وأعمال الحج والعمرة من أركان وواجبات وسنن ... إلخ [2].

وفي الآية التي تليها، وهي قوله تعالى:﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[البقرة: 197] يعنون للآية بقوله: "مواقيت الحج المكانية والزمانية" وأردف بها كل الأحكام المتعلقة بمواقيت الحج ومحظوراته[3].

وفي ثنايا حديثه عن أماكن الإحرام يرفق جدولا لتوضيح هذه الأماكن، في تفرد غير معهود في كتب التفسير، وهو على الهيئة الآتية[4]:

---

[1] ينظر: واحة التفسير: (572/1 – 578).

[2] ينظر: المصدر السابق (602/1 – 610).

[3] ينظر: المصدر السابق: (610/1 – 624).

[4] المصدر السابق :(613/1).

جدول (1)

تقسيم أماكن الإحرام الذي وضعه الشيخ الطويل

العدد	اسم الميقات	من يمرون عليه	الجهة	المسافة إلى مكة
1	آبار علي (ذو الحليفة)	أهل المدينة ومن يمر عليه غيرهم	شمال	430 كم
2	رابغ (الجحفة)	مصر والشام والمغرب وغيرهم	غرب	201 كم
3	وادي السيل (قرن المنازل) ويُحاذيه (وادي محرم)	نجد، ومن يمر بها من غير أهلها	شرق	80 كم
4	ذاتُ عِرْق (بين تهامة ونجد)	العراق وإيران وغيرهما	شمال شرق	80 كم
5	يَلَمْلَمْ (جبل من تهامة)	اليمن والصين والهند وغيرهم	جنوب	80 كم

فيتبين من خلال ما سبق ذكره أن الشيخ الطويل يتعامل مع الأحكام الفقهية وفق منهج يقوم على ما يأتي:

1. وضع عناوين فقهية للآية التي تحتوي على أحد الأحكام الشرعية.
2. الاستطراد، وذكر كل ما يتعلق بالمسائل الفقهية في باب العبادات تحت آيات الأحكام، حتى يظن القارئ أنه في كتاب خاص بالفقه من طول الكلام عن المسائل الفقهية المتعلقة بالآية.
3. ذكر الأدلة في كل مسألة من القرآن والسنة وآراء المذاهب الفقهية المختلفة.
4. ذكره للآراء الفقهية المختلفة في المسألة، وترجيحه لرأي جمهور الفقهاء عادة.
5. استخدامه لوسائل جديدة على كتب التفسير في بيان بعض الأمور المتعلقة بالمسائل الفقهية، كالجداول، وغيرها.
6. ربطه الحكم الفقهي بالتفسير الإجمالي للآية.

المبحث الثاني: مسائل فقه المعاملات

المقصود بفقه المعاملات: هي المسائل والأحكام التي تنظم علاقة الإنسان بغيره من الناس، كالإجارة، والرهن، والربا، والوقف، والبيع، والشركة، والمضاربة، والمساقاة، والجعالة، وغيرها، وفروع أخرى؛ كالجنايات، وأحكام الأسرة والطلاق، الفرائض والمواريث، الأطعمة والأشربة، القضاء والشهادات، وغيرها.

وهي المسائل التي تناولها الشيخ الطويل من خلال منهج يظهر بوضوح من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾[البقرة: 275]، يعنون للآية بقوله: "تحريم الربا"، ثم يقول في مستهل بيانه للأحكام الواردة في الآية: " تدرج الإسلام في تحريم الربا، كما تدرج في تحريم الخمر والقرآن الذي نزل في مكة ليس فيه تشريع غالبا، ولا حلال ولا حرام وإنما فيه إشارات لبعض الأحكام تمهيدا للتحريم القاطع بشأن الربا والخمر وغيرهما، والتحليل والتحريم نزل في المدينة على رسول الله ﷺ، وقد مر تحريم الربا بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: أول آية تشير إلى تحريم الربا وتبين أن الله يذمه ويبغضه ويمحقه ولا يباركه نزلت في مكة مع المقابلة بالصدقة، وأن الله تعالى يربي الصدقات ويزيدها وينميها لعباده في الدنيا والآخرة وهي قوله سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾[الروم: 39][1] .

[1] واحة التفسير، (224/2).

المرحلة الثانية: جاءت في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾[آل عمران: 130] حيث حرم الله سبحانه نوعا معينا من الربا تحريما جزئيا، هو أكل الربا أضعافا مضاعفة، أي: الربا الفاحش الذي يبلغ قيمة رأس المال أضعافا ويزداد كلما حل الأجل ازدادت القيمة، فيتضاعف رأس المال أضعافا مضاعفة [1].

المرحلة الثالثة: أما المرحلة الأخيرة التي حرم الله فيها الربا تحريما كاملا قطعيا، فقد جاء في الآيات التي نحن بصددها وهي آخر آيات نزلت في أحكام الربا، وقد ختمت بآخر آيات القرآن نزولا فيما يتعلق بالربا؛ فقال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾[البقرة: 278]"[2].

ثم أخذ في بيان أنواع الربا؛ النسيئة والفضل بشيء من الإسهاب، وشرع في ذكر أدلة كل نوع، والأصناف التي تناولها[3]، إلى أن ختم حديثه بعد قرابة السبع صفحات ببيان المعنى الإجمالي للآية؛ فقال: "ومعنى الآية: إن الذين يتعاملون بالربا وهو المأكول بالمال؛ لأن المال لا يؤكل لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع، وهو الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة، لأن الربا قد أثقل بطنه، والسبب في ذلك أنه استحل ما حرمه الله، وقاس الربا على البيع والشراء، فمن بلغه نهي الله ولم ينته فقد قامت عليه الحجة، واستحق العقوبة، وإن تاب ورجع إلى الله تعالى قبل التحريم فلا إثم عليه، وإن استمر على التوبة قبل الله توبته"[4].

وفي ختام هذا الفصل يكفي في التدليل على عناية الشيخ الطويل في تناول المسائل الفقهية في تفسيره والإسهاب في الحديث عنها أن نذكر أنه ضمّنَ سورة البقرة وحدها أربعينَ حكماً ومسألة فقهية، فقال في

[1] واحة التفسير، (225/2).
[2] واحة التفسير، (226/2).
[3] ينظر: المصدر السابق، (224/2 – 231).
[4] المصدر السابق، (232/2).

تقديمه للسورةِ: "وقد ذكرت سورة البقرة في النصف الثاني منها أربعون حكما تشريعيا يجب العمل بها إلى قيام الساعة، لأن السورة بدأ نزولها بعد الهجرة إلى المدينة مباشرة، وبقيت مفتوحة نحو عشر سنوات، فشرعت للناس جل أحكام دينهم ودنياهم، ومنها [1]:

القصاص وحكمته، وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾[البقرة: 178].

الصيام وأحكامه، من خلال تفسيره لقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[البقرة: 183].

الاعتكاف وأحكامه، من خلال تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ١٨٧﴾[البقرة: 187].

مراحل تشريع الجهاد في سبيل الله بالنفس، من خلال تفسيره لقوله تعالى:﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾[البقرة: 190].

تفصيل أحكام الحج والعمرة، من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ ١٩٦ ﴾[البقرة: 196].

وعلى هذا النحو يمكن القول: إن الشيخ الطويل اتخذ منهجا واضحا في تناوله للآيات التي تتضمن أحكاما فقهية على النحو الآتي:

أ- وضع عنوانا فقهيا مناسبا لكل آية تتضمن مسألة أو حكما فقهيا.

[1] المصدر السابق، (139/1).

ب- الاستطراد في سرد كل ما يتعلق بالمسائل الفقهية بشكل يشبه إلى حد كبير الكتب والمؤلفات الفقهية المتخصصة.

ج- سرد آراء المذاهب الفقهية في كل مسألة، وترجيح رأي الجمهور في الغالب.

د- دمجه بين الأحكام الفقهية والمعنى الإجمالي للآية.

الفصل السابع

القيمة العلمية لتفسير احمد الطويل

المبحث الأول: مميزات تفسير أحمد الطويل

إن أفضل ما يمكن أن نبدأ به الحديث عن مميزات هذا التفسير هو التقريظ والتقديم الذي بدأ به الشيخ الطويل مؤلفه؛ حيث نقل عددا من آراء أهل العلم المشهورين في تفسيره، ومنهم:

1. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، حيث يقول ما ملخصه: "وذيل تفسير الآيات المحكمات بالكلام على ما يتصل بمعناها من واقع الناس، دون تكلف ولا تعسف مع استنباط فوائد في التربية والسلوك الاجتماعي، وإيضاح بعض الأحكام التي اشتملت عليها الجمل القرآنية..."[1].
2. أ.د. صالح بن غانم السدلان، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حيث يقول ما ملخصه: "فقد اطلعت على أجزاء من التفسير الموسوم باسم (واحة التفسير) لمؤلفه الشيخ أحمد محمد عبد الله الطويل، فألفيته قد اتبع فيه النحو الآتي؛ أولا: يكتب مقدمة لكل سورة يبين فيها فضائلها ومحتوياتها وأغراضها في وحدة موضوعية للسورة، ثانيا: يضع عناوين مناسبة للآيات يشرح تحتها المعنى الإجمالي باستفاضة، ويذكر أسباب النزول ومعاني المفردات ويوضح الجوانب المتعلقة بها من الناحية الفقهية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، ثالثا: يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وأقوال الصحابة والتابعين، ويخرج الآيات والأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية وينهج منهج السلف فيما يتعلق بالأسماء الصفات، رابعا: يربط الآيات بالواقع المعاصر وغير المعاصر ويبين ما فيها من عبر وهدايات وينبه على البدع والخرافات، خامسا: يذكر القراءات العشر في الحاشية ويوجهها ويذكر المتفق

[1] واحة التفسير (5/1).

عليه والمختلف فيه من عد آي القرآن الكريم، وبالجملة فهو تفسير نافع مفيد فيه إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية"[1].

3. د. محمد جاد صالح المصري، المستشار الشرعي، وإمام وخطيب جامع أبي هريرة بحي العريجاء الأوسط بالرياض، حيث يقول ما ملخصه: " نهج بتفسيره أسلوبا فريدا حيث اختار موضوعا للآيات التي يفسرها وجعله عنوانا لها، وحشد لتفسيرها آيات من مختلف السور وأحاديث وآثارا، وحرص قدر الإمكان على المقبول منها، ثم نزلها على الواقع من خلال ضرب أمثلة معاصرة ليحقق أحد أهدافه من تأليف التفسير، ألا وهو التيسير على الدعاة بل والعلماء بجمع أطراف الموضوع الذي يحتاجونه"[2].
4. د. نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حيث يقول: "طالعت جزءا من كتاب (واحة التفسير) تأليف الشيخ أحمد بن أحمد الطويل، فوجدته كتابا اتبع فيه مؤلفه منهجا علميا صحيحا حيث يذكر تفسير السورة ويقدم لها بتقدمة يوضح فيها فضلها ومناسبتها لما قبلها ذاكرا أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، واهتم بالقراءات القرآنية عزوا وتوجيها ثم يفسر القرآن بالقرآن وبالسنة والآثار، ويعزو ذلك إلى المصادر الأصلية التي استقى منها الأحاديث أو الآثار، ذاكرا درجتها صحة وضعفا معتمدا على أقوال أهل الحديث المتقدمين والمتأخرين في الحكم، كما ربط الآيات المفسرة بالواقع كلما وجد لذلك سبيلا مع بعض الوقفات التربوية، مما يجعل عمله هذا قيما مفيدا للمكتبة القرآنية"[3].

ومن خلال هذه التقريظات والمقدمات، ومن خلال ما قمنا بتدوينه في ثنايا هذه الدراسة يمكن القول بأن أبرز مميزات هذا المؤلف (واحة التفسير) ما يأتي:

أ- جمعه بين مزايا التفسير التحليلي والموضوعي، حيث يقدم للسورة بذكر جميع الموضوعات التي وردت فيها، ثم يشرع في بيان الآيات بشكل تحليلي.

---

[1] واحة التفسير، (6/1).
[2] واحة التفسير، (7/1).
[3] واحة التفسير (12/1).

ب- جمعه بين مزايا التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، فهو يستند إلى المأثور بشكل كبير في بيان معنى الآية، ثم هو يعقب عليه بالرأي بما يناسبه، ليجمع بين الحسنيين.

ج- وضع العناوين المناسبة لكل آية يبدأ في تفسيرها، بحيث يظهر للقارئ معنى الآية إجمالا من العنوان؛ ثم يشرع في بيان المقصود بهذا العنوان تفصيلا.

د- ربطه الدائم للآيات بالواقع متى احتمل الأمر ذلك، وهذا يحتاج إلى فهم دقيق للآية من جهة، والواقع من جهة أخرى، ومن ثم تنزيل الآية على الواقع، وقد أجاد في ذلك إلى حد بعيد.

هـ- انتهاجه منهج السلف في كل ما يخص مسائل العقيدة، وسيره في ركابهم دون زيادة أو نقص، وهو ما يجعل هذا التفسير من أهم التفاسير المعاصرة التي تتناول قضايا العقيدة.

و- تخريجه للأحاديث وبيان صحيحها من غيره، وعادة لا يعتمد إلا على الصحيح منها، ثم هو يبتعد تماما عن الإسرائيليات إلا ما وافقت ما عندنا، وإلا فلا يأخذ به وينبه عليه.

ز- ذكره المعنى الإجمالي للآية عقب قيامه بتحليلها، وكأنه يقدم للقارئ خلاصة الآية في جمل قصيرة تبرز أهم ما ورد فيها.

ح- سهولة العبارة، وسلاسة الأسلوب، وهو ما يجعل قراءة هذا التفسير في متناول جميع الناس على تفاوت مستوياتهم.

ط- اهتمامه بقضايا الأمة والشأن العام، فلا تكاد تذكر مسألة تتعلق بقضية من قضايا الأمة المركزية المعاصرة كالقضية الفلسطينية وغيرها، إلا ويعرج عليها ويتكلم عنها بما يسرّ الدارسين، ويرضي ربّ العالمين.

ي- بعده عن الإساءة لأي مخالف له في مذهبه في تفسير الآية، وهي الظاهرة التي عانت منها بعض مؤلفات التفسير قديما وحديثا، فقد كان الشيخ الطويل يذكر رأيه، ويرد على مخالفه بعلم وأدب.

ك- قيامه بإدخال أمور جديدة على كتب التفسير كعمل جداول لتحديد أزمنة وأماكن بعينها أو أنصبة حددها الشرع، وهو أمر يساهم في بيان المطلوب للقارئ على نحو أدق.

ل- عظيم عنايته بالقراءات، فقد كان لا يذكر لفظة أو آية بها قراءات مختلفة إلا وينبه على ذلك.

م- من خلال ما ذكر سابقا يمكن اعتبار هذا التفسير مرجعاً لكل خطيبٍ وداعية ليتناولَ منهُ الموضوعاتِ سائغةً مقدمةً في أحسنِ إعداد.

المبحث الثاني: المؤاخذات على هذا التفسير

يعد كتاب "واحة التفسير" للشيخ أحمد الطويل من المؤلفات التي حظيت باهتمام كبير في تفسير القرآن الكريم، ومع ذلك، كما هو الحال مع معظم الكتب، قد تكون هناك بعض المؤاخذات، وفيما يأتي أبرز النقاط التي يمكن أن تكون مؤاخذات على الكتاب:

أ- أن كثرة التفريعات والتفصيلات في هذا التفسير جلبت له سلبية الإطالة والإطناب في المجمل العام، فقد جاء التفسير في خمسة عشر جزءا، والواقع أنه كان في الإمكان الإيجاز غير المخل ليكون حجم الكتاب أقل من ذلك، مما يسهل على القارئ مطالعته.

ب-قلة الإحالات المرجعية الدقيقة: يلاحظ في بعض المواضع غياب الإحالات الدقيقة إلى المصادر الأصلية، ما يجعل التحقق من بعض المعلومات أو الآراء أمرا صعبا، فمع أنه كان لا يخرج عن النهج العام لكن سبقه من المفسرين في الجملة، وكثيرا ما نقل عنهم في مواطن كثيرة، إلا الإحالات للحواشي قليلة جدا بالنظر إلى ذلك.

ج- طريقة تناوله للمسائل المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم لم تكن في بعض منها موفقة، فالإعجاز العلمي وإن كان موجودا في القرآن الكريم قطعا، إلا أن طريقة التناول من خلال التأكيد على أن العلم التجريبي الحديث يؤكد معنى الآية يعرض الآيات نفسها لخطر الطعن؛ فالعلم التجريبي يثبت ما ينفيه، وينفي ما يثبته مع مرور الأيام، وهذا يجعل من القرآن محكوما ولا حاكما تبعا لذلك.

د- عدم اتباع منهجا واحدا ثابتا في تفسير الآيات، حيث يمزج أحيانا بين التفسير التحليلي والموضوعي دون وضوح تام، إضافة إلى عدم التفريق الدقيق بين أقوال السلف وآراء المفسرين المتأخرين، مما قد يسبب بعض الالتباس في فهم بعض المسائل.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتفيض، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ففي نهاية دراستي المعنونة بـ: منهج أحمد الطويل في تفسيره واحة التفسير. "دراسة استقرائية تحليلية"، فقد توصلت لما يأتي:

أولا: النتائج.

1. أن الشيخ الطويل التزم منهجا عاما فيما يخص تفسيره يرتكز على التقديم بين يدي السورة بما ورد فيها من فضائل. ومناسبتها لما قبلها.
2. يقوم بتلخيص ما اشتملت عليه السورة من موضوعات في بدايتها.
3. بيان ما في الألفاظ من وجوه القراءات.
4. اعتماد طريقة تجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.
5. ربط الآية أو الآيات بالواقع من غير تكلف ولا تعسف، واستنباط فوائد تربوية وسلوكية واجتماعية.
6. اعتنى ببعض مسائل علوم القرآن كأسباب النزول، وإعجاز القرآن، والناسخ والمنسوخ، ومشكل القرآن، والمحكم والمتشابه، وهو في ذلك كله يذهب مذهب عامة السلف.
7. عنايته بالمفردة القرآنية بالقدر الذي يفيد في بيان معنى الآية ويظهر ما فيها من أحكام، وعنايته كذلك بالجمل وما تشتمل عليه من صور بلاغية متنوعة.
8. تفسير آيات الغيبيات بما يتوافق مع الخط العام لرؤية أهل السنة من خلال الإثبات والتفويض، وبخاصة فيما يخص مسائل الإلهيات، كمسائل الأسماء والصفات، والقضاء والقدر، والاستواء والرؤية، وغيرها.
9. توسع كثيرا في تناول المسائل الفقهية، فلم يكد يتناول آية فيها حكما شرعيا إلا تناوله بشيء من الإسهاب والإطناب.

10. التزام الشيخ أحمد الطويل بمنهجية تفسيرية تجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ حيث يعتمد في تفسيره على منهجية تجمع بين النقل والعقل، كما يولي أهمية كبرى للآثار المروية عن السلف الصالح، مع الأخذ بعين الاعتبار القضايا المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية.
11. النقد العلمي والانتقائي للأقوال المختلفة: اعتمد الشيخ منهجا انتقائيا في تناول أقوال المفسرين، حيث يرجح بينها بناء على قوة الدليل وموافقتها للسياق القرآني.
12. محدودية التعمق في بعض القضايا الفلسفية والعلمية: أظهرت الدراسة أن التفسير قد يتجنب التوسع في المسائل التي تحمل طابعا فلسفيا أو علميا دقيقا، مما يظهر حرص الشيخ على تجنب التأويل الذي قد يتجاوز مقاصد النص.

وخلاصة القول: فإنه من خلال الدراسة التحليلية، يمكن القول إن منهج الشيخ أحمد الطويل في تفسيره "واحة التفسير" يتميز بالتوازن بين النقل والعقل، والاهتمام بالجانب الروحي والتربوي، ومع ذلك، يظل تفسيره مجالا قابلا للتطوير في بعض الجوانب، مثل التعمق في القضايا العلمية وربطها بالنصوص القرآنية.

ثانيا: التوصيات.

يوصي الباحث بالآتي:

1. تناول الجوانب التربوية والسلوكية والاجتماعية في تفسير الشيخ الطويل بصورة مستقلة ومركزة من خلال دراسات منفردة، حيث تناول هذا التفسير العديد من هذه الجوانب الجديرة بالدراسة.
2. إفراد الجانب الفقهي من هذا التفسير بالدراسة، وليكن ذلك في دراسة منفردة تحت عنوان: الأحكام الفقهية في تفسير واحة التفسير للشيخ الطويل "جمعا ودراسة".
3. إصدار مختصر من الكتاب: يوصى بإصدار نسخة مختصرة موجهة للقارئ غير المتخصص، مع التركيز على النقاط الرئيسية والدروس المستفادة من الآيات.

4. تشجيع الدراسات النقدية: ينصح بإجراء دراسات مقارنة بين "واحة التفسير" والتفاسير المعاصرة الأخرى لتوضيح نقاط القوة والجوانب التي تحتاج إلى تطوير، وفي هذا السياق أيضا يوصى باستخدام الرسوم البيانية والجداول لتوضيح بعض المفاهيم أو مقارنة الأقوال، مما يسهل على القارئ فهم العلاقات بين المواضيع المختلفة.
5. إضافة فهرس للعناوين التي كان يضعها المفسر للآيات التي كان يبدأ بتفسيرها لتيسير الرجوع اليها.
6. وفي الختام: فإن هذه التوصيات تركز على تعزيز شمولية تفسير "واحة التفسير" وزيادة ارتباطه بمتطلبات العصر، مع المحافظة على الأصالة التي يتميز بها منهج الشيخ أحمد الطويل.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

عوض، إبراهيم، تأملات في البيان القرآني: الجملة القرآنية، شبكة الألوكة، منشور بتاريخ: 2014/6/29م، 1435/9/2 هـ.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط1، 2001م).

حفلة تكريم الشيخ بعنوان (الوفاء) على منصة اليوتيوب، تم الاطلاع عليها في يوليو 2025، الموقع الالكتروني:

https://www.youtube.com/watch?v=Crdsy2_y8Us&list=PLDFlX7gMBshTTrddOY9T1351GWAHK0ih2&index=5&t=54s

مقال بعنوان حياة الشيخ احمد الطويل – موقع مداد، تم الاطلاع عليه في يوليو 2025، الموقع الالكتروني: https://midad.com/scholar

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (ت 1420 هـ)، فتاوى نور على الدرب، جمع محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – إدارة مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، (ط1، 1441هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: 256)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري.

البرماوي، إلياس بن أحمد حسين بن سليمان، إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل، تحقيق: محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت 728هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (1490هـ/ 1980م).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (1425هـ – 2004 م).

جار الله، عبد الله بن محمد بن سليمان، قراء العصر سيرة عطرة وتاريخ مجيد، مؤسسة الهدى الخيرية (1435 هـ).

أبو الجود، خالد حسن، "معاهد القراءات الأزهرية بمصر نشأتها وتاريخها وهيكلتها وتقييمها" (ص 29)، وهو بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، المقام في جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية عام (2015 م).

حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية (ط 2، 1422هـ).

حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852 هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

الحميصي، إبراهيم بن صالح، مناهج المفسرين، دار ابن الجوزي، (1442هـ – 2020م).

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق (1429هـ – 2008م).

خياط، يوسف، المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب.

ابن دقيق العيد، تقي الدين ابن دقيق العيد (625 – 702 هـ)، إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، دار عالم الكتب بيروت – بالاتفاق مع دار الكتب السلفية بالقاهرة، (1407هـ–1987م).

الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

الذهبي، محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، (د. ط/ د.ت).

الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر (1399هـ – 1979م).

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت –صيدا (ط5، 1420هـ/1999م).

الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، (ط1/ 1412هـ).

الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مؤسسة هنداوي، (ط 8، 2022م).

الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ط3).

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي (1376هـ – 1957م).

أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، شهاب الدين (ت 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

السيد بن أحمد بن عبد الحميد، الحلقات المضيئة من سلسلة أسانيد القراءات، طبع على نفقة الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة بيشة بالمملكة العربية السعودية، (ط 1/ 1423هـ 2002م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، (1394 هـ/ 1974 م).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق (ت:790)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، (ط1/1417هـ/ 1997م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان –القاهرة، مصر (ط1، 1422هـ– 2001م).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1/ 1420 هـ – 2000 م).

الطويل، أحمد بن أحمد، واحة التفسير، (ط1/ 1438 – 2016م).

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس (1984 هـ).

عبد الرحيم، السيد بن أحمد، الحلقات المضيئة من سلسلة أسانيد القراءات، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن، (ط1/ 1423هـ).

ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1/ 1996م).

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن البصري (ت 170هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (1426هـ – 2005م).

القطان، مناع بن خليل (ت 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (ط3/ 1421هـ– 2000م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، (ط2/ 1420 هـ – 1999 م).

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه.

مساعد الطيار، المفردة القرآنية؛ المراحل التي تمر بها حال تفسيرها.

مساعد الطيار، المفردة القرآنية؛ المراحل التي تمر بها حال تفسيرها، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ط/ د. ت).

مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت–، (ط1/ 1423 هـ).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل (ت: 711هـ)، لسان العرب– دار صادر، الدار الشامية، (1414هـ).

مولاي، عمر بن حماد، التفسير الفقهي؛ النشأة والخصائص، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، (ط2، 1412هـ –1992م).

ياسر المطرفي، العقائدية وتفسير النص القرآني، المناهج، والدوافع والإشكاليات والمدونات.. دراسة مقارنة، مركز نماء للبحوث والدراسات (1437 هـ / 2016).

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

THE METHODOLOGY OF AHMAD AL-TAWIL IN HIS QURANIC EXEGESIS, "WAHAT AL-TAFSIR" (*THE OASIS OF EXEGESIS*): AN ANALYTICAL INDUCTIVE STUDY

By
Zakariya Ali Mahmoud Shibli

Supervisor
Dr. Khaled Alwan

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Jurisprudence and Legislation, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus - Palestine.

2025

THE METHODOLOGY OF AHMAD AL-TAWIL IN HIS QURANIC EXEGESIS, "WAHAT AL-TAFSIR" (*THE OASIS OF EXEGESIS*): AN ANALYTICAL INDUCTIVE STUDY

By
Zakariya Ali Mahmoud Shibli
Supervisor
Dr. Khaled Alwan

Abstract

This study aims to highlight the most prominent aspects of Sheikh Ahmad Al-Tawil's life, showcase his contributions to his exegesis "Wahat Al-Tafsir" (Oasis of Interpretation), and identify its most important features. It also addresses the most significant exegetical issues that Sheikh Al-Tawil tackled in his work, explores its importance in the field of contemporary exegesis, and examines his general methodology.

The study is divided into eight chapters. The first chapter introduces Sheikh Ahmad Al-Tawil. The second chapter provides an overview of his exegesis. The third chapter defines the scientific methodology employed in the exegesis. In the fourth chapter, the study discusses topics related to the sciences of the Holy Qur'an. The fifth chapter focuses on linguistic and intellectual issues. The sixth chapter covers the doctrinal topics addressed by Sheikh Al-Tawil. The seventh chapter focuses on jurisprudential matters. The eighth and final chapter discusses the scholarly value of this exegesis. The study employed an inductive-analytical approach to achieve its objectives and concluded with several findings, most notably: Sheikh Al-Tawil followed a general methodology in his exegesis, beginning each surah by mentioning its virtues and its connection to the preceding surah. He summarized its main themes at the outset, explained the different readings, and adhered to the traditional approach of exegesis based on narrations.

He concluded his interpretation of the verses by connecting them to reality in a natural and spontaneous manner, extracting educational, behavioral, and social benefits from them. He also paid close attention to certain Quranic sciences, such as the reasons for revelation, the miraculous nature of the Quran, abrogation, problematic verses, and the clear and ambiguous verses. Furthermore, he paid meticulous attention to Quranic vocabulary to clarify meanings and rulings, and to explain legal principles.

Keywords: Methodology, Al-Taweel, Tafsir, Oasis of Interpretation.